



جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل (ط1): 202496106161

رقم التسجيل (ط2): 202408085080028

تخصص: لسانيات عامة

شعبة: الآداب والعلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر بعنوان:

حِجَابِيَّةُ أَسْلُوبِ النَّدَاءِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ مُقَارِبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ

إعداد الطالبين:

1- بوزنزن عبد الكريم

2- تواتي عمر

أمام لجنة المناقشة المكوّنة من السادة :

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	بن عطية مصطفى	أستاذ	محمد بوضياف	رئيسا
2	زهار محمد	أستاذ	محمد بوضياف	مشرفا
3	قفي مراد	أستاذ	محمد بوضياف	ممتحنا

الموسم الجامعي : 2025/2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

شكر وعرّفان

عملا بحديث رسول الله - ﷺ - : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

يطيب لنا أن نتقدّم بخالص عبارات الشكر والعرّفان والامتنان إلى

أستاذنا الفاضل: زهّار محمّد.

الذي ذلّل لنا مغاليق التّداوليّة، وحبّبها إلينا، فصارت مفتاحا مفيدا،

نستكشف به كنوز النّصوص وأسرارها، وتابع عملنا حتى اكتمل،

ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيّمة، داعين المولى - عزّ

وجلّ - أن يحفظه، وينفع بعلمه.

- وإلى كلّ من كان سندا لنا في هذه الرحلة العلميّة.

إهداء

* إلى والديّ الكريمين: اللّذين وجدت في دعواتهما التّوفيق والسّداد،

والمخرج عند الضّيق.

* إلى زوجتي وأبنائي الذين شجّعوني على إتمام هذه الرّحلة

العلميّة.

* إلى كلّ أصدقائي وأحبّتي الأوفياء الذين أحبّوا لي النّجاح.

* أُهدي هذا العمل المتواضع *

الطالب: عبد الكريم بوزنزن

إهداء :

* إلى والدي رحمه الله وغفر له ، وتجاوز عنه .

* إلى والدي الكريمة ، حفظها الله ، وأطال عمرها لتشهد

مزيدا من نجاحاتي .

* إلى كلّ أقاربي وأحبّتي وأصدقائي ، الذين ساندوني وأحبّوا

لي النّجاح .

- أهدي هذا العمل .

الطالب : تواتي عمر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، معلّم الناس الحجاج وأفصحهم بئد أنه من قريش، وبعد: فإن الإقبال على دراسة الخطاب القرآني، وتدبر معانيه لشرف يتوشح به طالب العلم، وفخر لكل من يقف نفسه على اكتشاف أسرار وآيات إعجازه، رجاء التقرب من الخالق - عز وجل - وفهم حقيقة وجوده في هذه الحياة، ذلك أن الخطاب القرآني إلهي، موجّه إلى كافة البشر، كُتب بلغة طبيعيّة، وهي اللّغة العربيّة، فهو خطاب يقوم على الحجاج والإقناع، والمنطق الطبيعيّ، الذي تستصيغه العقول الحيّة، وأصحاب الفطرات السليمة، بقصد تنويرها وهدايتها. ومن هذا المنطلق اعتمد الخطاب القرآني على شتى آليات الحجاج والإقناع، مستثمرا اللّغة العربيّة، وما تحمله من إمكانيّات واسعة، تؤثر في النفوس، وتقيم الحجّة على العقول الحيّة، باستعمال الوعظ القصصي، والعبير والإفحام، والإذعان والتّسليم في خطابه للمتلقّين، على اختلاف ألسنتهم ومللهم ونحلهم، كلّ هذا لأجل التأسيس لمنهج حياة وعقيدة كونيّة، لا يحدّها زمان ولا مكان.

من أجل ذلك جاءت فكرة الغوص في هذا البحث، الذي يتناول آلية من آليات البيان والحجاج في القرآن الكريم، متمثلة في دراسة أسلوب النّداء في سورة يوسف - عليه السّلام - كآلية تتجاوز الاستدعاء ولفت الانتباه إلى التأثير والتّوجيه والإقناع، باعتماد أسلوب القصص، المعجز في بنائه وصدق أحداثه، الأسر في عرض مشاهدته، والرّاقى في غاياته الرّبانيّة.

والواقع أنّ اختيارنا لهذا البحث أسباب منها:

1- حبنا وميولنا للدراسات القرآنية، الذي لمحّه أستاذنا المشرف سريعا فاستعمله لنا، فكان التّمهيد لهذا الموضوع باقتراح جملة من المواضيع التي تقاطعنا فيها معه ففكرنا ورؤية وهدفا،

فحصلت الموافقة، وكان هذا العنوان الموسوم بـ : " حجاجية أسلوب النداء في سورة يوسف : - مقارنة تداولية - " .

2- رغبتنا في اغتنام هذه الفرصة التي منحنا إيّاها أستاذنا المُشرف، لاسيما وأنّ سورة يوسف لها مكانة خاصّة في قلوب الموحّدين، لما احتوت عليه من أسلوب قصصيّ فريد، وحجاجٍ راقٍ بين مُتخاطبين مُتعدّدين، وما عالجته من قضايا يومية تتعلّق بالإنسان مع نفسه ، ومع غيره ، ومع ربّه ، والتي ستكون محلّ مرافقة وعناية بيداغوجية متخصصة شكلا ومضمونا، ممّا يوضّح معالم الطريق ، فيسهل السّير عليه ، ويضمن موثوقية النتائج .

3- رغبتنا في تقديم الإضافة في مثل هذه الحقول المعرفية، خدمةً لكتاب الله ، وإثباتا لتمييز اللّغة العربية ، وتثميناً لما سبقنا من دراسات وبحوث داعية إلى تناول النّص القرآني عامّة، والقصص القرآنيّ خاصّة، بالوقوف على أساليب الحجاج وآلياته في السّورة ، خصوصا وأنّ الحجاج أضحى مطلبا أساسيا في كل عمليّة اتّصالية .

حاولنا عبر هذا العمل البحثي الإجابة عن جملة من التّساؤلات منها:

- ما النداء عند النّحويين والبلاغيين في التّراث العربيّ؟

- أين تظهر ملامح النّظرية الحجاجية في الدّرسين العربي والغربيّ؟

- ما هي أهمّ الآليات الحجاجية المُوظّفة في قصّة يوسف - عليه السّلام -؟

- هل يستجيب الخطاب القرآني في السّورة لتطبيق آليات التّداولية؟

- ما الأبعاد التّداولية التي حملها أسلوب النداء في السّورة؟

إنّنا نروم من خلال هذه الدّراسة الكشف عن حجاجية أسلوب النداء في سورة يوسف، عبر

أسلوب القصص، ومن ثمّ فنحن نسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:

1- البحث عن آليات الحجاج البلاغية واللّغوية ، وتجليّاتها في قصّة يوسف - عليه السّلام -

2- التّعرّف على بعض من نماذج الحجاج، وأبعاده المختلفة في السّورة على مستوى التركيب

الندائي.

3- إبراز دور النداء كآلية لغوية، وفعل كلامي، يحمل قدرة إنجازية لها طاقة حجاجية، ذات
غايات تواصلية، وأبعاد تداولية تأثيرية وإقناعية.

4- إثبات أن القصص القرآني كلام حجاجي بالأساس، دون نفي وظائف أخرى، كالإخبار
والإعجاز

5- التعريف بأهم النظريات الحجاجية الحديثة، التي اهتمت بكيفية اشتغال الخطاب
الحجاجي، ومدى قدرة هذه النظريات في التحليل اللساني عند التعامل مع النص القرآني.
ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف، هيكلنا البحث وفق مخطط يناسبه، فكان
جزئين: جانب نظري وآخر تطبيقي، موزعين على مقدمة وفصلين وخاتمة، أجملنا فيها أهم
ما توصلنا إليه .

ففي الفصل الأول الذي عنوانه ب: النداء في التراث العربي، انبثقت منه ثلاثة مباحث هي
النداء عند النحويين، حيث قمنا فيه بتعريف النداء لغة واصطلاحاً، مع الإشارة إلى تعدد
زوايا النظر إليه من طرف النحويين، ثم بيننا أدواته ومعانيها، وعرضنا لأنواع المنادى
وصوره، لنختمه باستعراض وظائفه الأصلية، وما يمكن أن يخرج إليه من أغراض سياقية
ومقامية بالتمثيل المناسب، أمّا في المبحث الثاني: فعرضنا لجهود البلاغيين في باب
النداء من حيث تعريفهم له، وتحديد أدواته، وبيان أغراضه التي تتسع لأغراض شتى،
وختمناه بمبحث ثالث: تناولنا فيه أنواع النداء الواردة في القرآن الكريم مع شواهد قرآنية
توضح ذلك، كإضاءات توجيهية عند المبحث التطبيقي .

أمّا في الفصل الثاني الذي كان تطبيقياً فقسّمناه إلى أربعة مباحث متوازنة،
خصّصنا الأول منه لبيان سبب نزول سورة يوسف - عليه السلام -، والتعريف بها،
واستعراض أهم الموضوعات التي عالجتها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، والمرامي المتعددة
التي كانت تستهدفها.

ثمّ تتبّعنا في ثانيه المسار التاريخي للحجاج عند الغرب والعرب قديماً وحديثاً،
ابتداءً من الفكر اليوناني وتميّزه بالحجاج الأرسطي، ثمّ بيننا ملامحه في التراث العربي، من

خلال التركيز على أهم ما تناولته البلاغة من آليات ، عُدّت حجاجية ، قصد التأثير والاستمالة والإقناع ، ثم عرّجنا على بيان أهم النظريات الحجاجية الغربية حديثا ، بدءا بنظرية البلاغة الجديدة لبرلمان وتتيكا ، فنظرية أفعال الكلام لأوستن ، ثم النظرية الحجاجية اللغوية لديكرو ، وأنهيناها بعرض أهم الأعمال النظرية والتطبيقية التي قدّمها المهتمون المعاصرون العرب في هذا المجال ، كجهود طه عبد الرحمن ، ومحمد العمري ، وأبي بكر العزاوي ، وعبد الله صولة .

أمّا في المبحث الثالث فبيّنا جوانب ارتباط الحجاج بالتواصل، والذي تستهدفه التداولية الحديثة من خلال مجموعة من الآليات والوسائل.

وختمنا الفصل التطبيقي، باستعراض جملة من النماذج الحجاجية في السورة، حيث طبّقنا عليها جملة من الإجراءات التداولية، كنظرية أفعال الكلام، والسلالم الحجاجية، وبعض الآليات اللغوية والبلاغية ، كلّ هذا لأجل استخراج الطاقات الحجاجية التي يزخر بها أسلوب النّداء في السورة .

وقد اقتضت الدراسة الاعتماد على المنهج : الوصفي الإحصائي ، لأنّه الأنسب لمثل هذه البحوث، من حيث تعريف النّداء، وبيان أدواته وأغراضه، وعدد وروده ، فضلا عن رصد دلالاته ، عند عرض الدّوات المتخاطبة داخل القصّة على بعض الإجراءات التداولية .

استند بحثنا إلى مجموعة من المصادر والمراجع ، ذات الصّلة الوثيقة بالموضوع ، أهمّها : القرآن الكريم ، وتفسير الإمامين : السّعدي وابن عاشور - رحمهما الله - ، والحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة ، واللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي ، ومجلة آداب بجامعة منّوبة التونسية التي يصدرها فريق البلاغة والحجاج ، بعنوان : " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " العدد 39 ، وأسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي لمثنى كاظم صادق ، فضلا عن مجموعة من المقالات المناسبة عن النّداء والحجاج المنشورة في مجلّات عدّة كالمعيار والمخبر الجزائرية .

لقد سبقنا الكثير من الدارسين والمؤلفين في حقل الحجاج التداولي إلى هذا الموضوع ، والذين تعددت تطبيقاتهم على نصوص الوحيين ، أو التراث العربي ، فاستأنسنا بها مثل : الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة ، ورسالة دكتوراة لمبارك تريكي بعنوان : " النداء في القرآن الكريم " ، صادرة عن جامعة الجزائر سنة 2007م .

وعلى غرار كلِّ باحثٍ، فقد اعترضت طريقنا جملة من الصعوبات التي أبطأت سير عملنا تارةً، وأوقفته إلى حين تارة أخرى، نجمل أهمها فيما يلي:

1- قداسة النص القرآني باعتباره خطاباً إلهياً مما توجب علينا الحذر عند التعامل التداولي مع آياته تحليلاً واستنباطاً، والخوف من الوقوع في الخطأ ، أو التحريف لبعض معانيه ، لذلك كان التوسل بما اجتمع عليه كبار المفسرين والشارحين كمنطلق لبحثنا ، واعتماد جهود الفاعلين في التداولية كإضاءات إرشادية ، ومعالم طريق ، يهتدى بها .

2- تشعب مباحث الحجاج، وكثرة قضاياها، والموضوعات المنضوية تحته، وقلة تناول هذا الموضوع من زاوية تداولية، وإن وجدت فيصعب الحصول عليها، أدى إلى أخذ وقت طويل لأجل استيعابه ودراسته، فضلعن تغيير وحدثة المادة العلمية بالنسبة إلينا ، بالنظر إلى مرور وقت طويل لانقطاعنا عن أجواء البحث الأكاديمي التي تزيد لأحدنا عن خمسة وعشرين عاماً.

وختاماً ، ونحن نصل إلى نقطة النهاية لهذا العمل ، ومن باب الاعتراف بجميل الأفاضل ، فإننا نرجع ما كان فيه من محاسن وتوفيق إلى الله - عزّ وجلّ - أولاً ، ثم إلى أستاذنا المحترم : زهار محمد ، الذي تكرم بالإشراف على مذكّرتنا ، وتعهّدنا بطيب رعايته ، وسديد توجيهاته ، كما لاننسى أن نصل شكرنا الجزيل إلى كلّ أساتذتنا في فرع اللسانيات العامة بالكلية ، على التشجيع والمرافقة ، والتسهيلات التي حُظينا بها من طرفهم طيلة الموسم الحالي ، على أمل أننا حقّقنا الهدف من وراء هذا العمل .

والله الموقّق إلى كلّ خير وصلاح .

الفصل الأول : النداء في التراث العربي

المبحث الأول : النداء عند النحويين

المبحث الثاني : النداء عند البلاغيين

المبحث الثالث : أنواع النداء في القرآن الكريم

توطئة :

النداء ظاهرة غريزية ، ووسيلة للاتصال لدى كل من الإنسان والحيوان ، ولكنها تظهر بصورتها الزاقية لدى البشر بوصفها أداة للتعبير عن المشاعر والأفكار ، والتواصل بينهم .

فمنذ البدايات الأولى لوجود الإنسان كان النداء وسيلة للبقاء والتفاعل ، ويبرز هنا نداء الصبي لأمه ، ونداء الجماعة لزعيمها ، ونداء الحادي لغيره ، وبهذه الفعاليات يعكس حاجة فطرية للتواصل والتعاون، والتعبير عن النفس ومشاعرها.

إنّ النداء ليس مجرد صوت يطلق في الفراغ ، بل هو مقصد متعمد للتعبير عن الأغراض والحاجيات ، ودعوة تهدف إلى إقامة علاقة تواصل بين طرفين أو أكثر ، سواء كان ذلك لطلب الانتباه ، أو الإشارة إلى وجود ، إنّه يتجاوز كونه مجرد أداة لغوية ليصبح فعلاً توصلياً ذا أبعاد عميقة ومتعددة....ستكشف عنها محطات هذا العمل البحثي .

المبحث الأول: النداء عند النحويين

حظي أسلوب النداء بحظٍّ وافرم من التنظير، والتّمثيل، والمعالجة لدى النحويين والبلاغيين العرب، حيث إنّنا لا نجد كتاباً ذا أهميّة في النّحو والبلاغة وعلوم اللّسان إلّا وكان للنداء فيه حضور لافت، فعقدوا له باباً توضيحياً خاصاً، فما تعريف النداء؟ وماهي أدواته؟ وماصور ورود المنادى؟، ووظائفه الأصلية، وأغراضه التي يخرج إليها؟ .

1-تعريف النداء:

أ-لغة:

تكاد تجمع أغلب المعاجم العربية على أنّ دلالة النداء لاتخرج عن إطارالصوت والدّعاء والصّراخ ، فهو مصدر للفعل نادى ، ينادي ، مناداة .

فهذا الرّازي في مختاره يتناوله قائلاً : " النداء : الصّوت ، وقد يُضمّ ، ناداه مُنادة ، ونداء صاح به "1.

والدّلالة نفسها نجدها عند صاحب اللّسان ضمن مجموعة من المعاني ، يشير إليها بقوله : " ... والندى على وجوه ، ندى الماء، ندى الخير ، ندى الشّرّ ، وندى الصّوت ، وندى الحضر " 2

أمّا ابن يعيش في شرح المفصّل فيعرّفه قائلاً: " إنّ النداء التّصويت بالمنادى ليعطفه على المنادي ، ثمّ قال : " والنداء مصدر يُمدّ ويُقصر، وتُضمّ نونه وتُكسر "3

ب-اصطلاحاً:

تعدّدت تعاريف النّحويين للنداء ، ولم يستقرّوا على تعريف واحد ، ومردّد ذلك إلى منطلقاتهم الفكرية ، فمنهم من عرفه وظيفياً ، ومنهم من عرفه إعرابياً .

1 - الفخر الرازي فخر الدين ، مختار الصّاح ، ضبط وشرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا .1995-دار الهدى، الجزائر، ص413

2 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،المجلد12 ،باب النون.

3 - ابن يعيش ، شرح المفصّل ،2001، دار الكتب ، بيروت ، ج5 ، 48

فمن عزّفه وظيفيا كان هذا منطلقه كابن عقيل الذي قال عنه: "النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد أحرف النداء ملفوظا كان حرف النداء أو ملحوظا" ⁴ ومثله أبو حيان الأندلسي الذي يقول: "واصطلاحا: الدعاء بحروف مخصوصة... " ⁵ ومنهم من عزّفه إعرابيا، أي نظر إلى أحواله، كان هذا منطلقه، ولعلّ هذا التعريف نجده عند سيبويه في كتابه، فيقول: "اعلم أنّ النداء كلّ اسم مُضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع، وهو في موضع اسم منصوب... " ⁶ ونهج نهجه كبار النحاة كالمبرد في مقتضبه، وابن جنّي في اللّمع، والرّمخشري في المفصّل في صنعة الإعراب، وابن هشام في شرح قطر الندى وبلّ الصدى. وتكفي نظرة خاطفة في كتب المتأخرين من النحويين لنجد أنّهم يميلون إلى التعريف الوظيفي للنداء، كأحمد الهاشمي في كتابه القواعد الأساسية للغة العربية، وعباس حسن في النحو الوافي، وغيرهم كثير ممّا لا يتسع المقال لحصرهم، وذكر أعمالهم.

2- أدواته (حروفه) :

الحروف التي يُنبّه بها المنادى ، والتي هي ركن مذکور أو ملحوظ ثمانية هي :

الهمزة ، يا ، أي ، آي ، آ ، أيا ، هيا ، وا .

وتقسّم هذه الأدوات إلى قسمين اثنين :

1- قسم لنداء القريب وأدواته الهمزة وأي .

2- قسم لنداء البعيد أو ماهو بحكم السّاهي والنّائم ، ويشتمل على باقي الأدوات المذكورة

أنفا .

4 - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، (ت769هـ) نشر محمد عبد الحميد ، القاهرة ، ج3 ، ص 258

5 - أبو حيان الأندلسي محمد يوسف بن علي (ت745هـ) ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، شرح ودراسة د.

رجب عثمان ، 1998 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج4 ، ص 2179

6 - سيبويه ، بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون ، ط3 ، 1988 ،

مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج2 ، ص182

ومن هنا فإن بعضها يُستعمل للقريب وبعضها للبعيد ، وتتبادل المنازل حسب القرب والبعد ، وقد ينزل القريب منزلة البعيد والعكس ، وفي الفصل التطبيقي بيان وافٍ ، وتمثيلٌ مستفيضٌ لاستعمال بعض هذه الأدوات .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض أحرف النداء يمسّها الحذف ، وهذا يقتصر على " يا " دون غيرها ، " ولاسيما في نداء الرّب ودعائه ، فتكون مقدّرة ذهنياً " ، مثل قوله تعالى في الآية 126 من سورة البقرة ﴿وَأُذِ قَالِ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾⁷ ، وتقدّر عند الحذف وحدها لحكمة مقصودة تحقيقاً لأغراض معيّنة كالرغبة في الإيجاز ، أو الإسراع في الكلام ، والانتهاه منه ... ، وهناك مواضع يمتنع فيها الحذف ، عالجهما النحويون في كتبهم⁸.

3- أنواع المنادى :

يُقسّم النّحاة المنادى إلى أقسام بحسب النّظر إليه ، فهو " من حيث البناء والإعراب قسماً " ⁹ أ- مبني : ويضمّ الاسم العلم مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾¹⁰ والنكرة المقصودة مثل قولنا : " يا قوم ، ياناس ...

ب- مُعرب : ويضمّ :

- المضاف مثل : يا عبد الله

- الشبيه بالمضاف : يارحيمًا بالعباد

- النكرة غير المقصودة : ويُقصد بها اسم الجنس غير المعين ، مثل قولنا : يامسلمين ...

ومن حيث الحقيقة والمجاز فهو قسماً :

1- حقيقي : مثل قوله تعالى : ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾¹¹

⁷ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ج 1، ص 242

⁸ يُنظر مواضع الحذف الواجب والجائز والممتنع لحروف النداء ، عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 4 ، ص 4

⁴ - عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، ط 8 ، مصر ، ج 4 ، ص 9

¹⁰ - سورة الانبياء ، الآية 62

¹¹ - سورة البقرة ، الآية 35

2- مجازي : مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾¹²

4- الوظائف النحوية للنداء :

النداء كونه وحدة قاعدية في الخطابين الشفهي والكتابي ، له أهمية كبيرة في عملية التخاطب بين الناس ، إذ استطاعت هذه البنية الخطابية أن تعبر عن مختلف الأغراض والمشاعر الإنسانية ، فقد يلجأ إليه المنبّه والداعي والمتضجر والشاكي والمتوعد.

ويؤدي النداء في الأساس وظيفتين أساسيتين ، يُبنى عليهما ما قد يخرج إليه من أغراض بلاغية يفرضها المقام والمقال ، ويتمثل هذان الغرضان في :

1- طلب الإقبال : ويعني دعوة المنادي إلى الالتفات أو الحضور ، أو الاقتراب من المتكلم ، وتتجلى أرقى صورته في نصوص الوحيين - القرآن والسنة - على الخصوص ، ومن أمثاله قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾¹³

وقوله أيضا : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾¹⁴

2- التنبيه :

ويُقصد به لفت انتباه المنادي إلى أمر ما ، أو إيقاظه من غفلة ، أو توجيه وعيه نحو ماسيقوله المتكلم لتهيئة ذهنه ، وجذب تركيزه...

وأمثاله كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾¹⁵

وقد يخرج النداء من معناه الأصلي الذي تعارف عليه النحويون متمثلاً في التنبيه والاستحضار ، إلى تراكيب لغوية أخرى ذات مدلولات نحوية ، " مستنتجة من تركيبها لا من المقام كالأستغاثة والندبة " ¹⁶

¹²- سورة الأنبياء ، الآية 69

¹³- سورة الزمر الآية 53

¹⁴-سورة القصص الآية 14

- سورة الأعراف الآية 31 ¹⁵

¹⁶- مبارك تريكي: النداء بين النحويين والبلاغيين ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 7 ، 2007، ص183

- الاستغاثة : وتُعرّف على أنّها نداء شخص لآخر بغرض الغوث وطلب العون والنّجدة ، نحو قولنا " يا لله للأمة " ، أو " ياللطباء للوباء " أو " ياللعالم للجاهل " .

- الندبة : نداء موجّه للمتفجّع عليه ، أو للمتوجّع منه ، ويستخدم للتعبير عن الحزن والتعجب عند فقد عزيز ، كقولنا : " وأعمراه " ، أو " وأعثماناه " ... أو حدوث أمر مؤسف ، مثل ماقاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأمتنا عائشة - رضي الله عنها - لما

شكّت صداع رأسها له ﷺ فقالت : [وَأرأساه] فقال ﷺ : [بَلْ أَنَا وَأرأساه].

ويشتهر عند عموم النحويين الكثير من الأمثلة التي تؤكد خروج النداء من معناه الأصلي إلى معانٍ أخر تُفهم بمساعدة المقام والقرائن ، كالإغراء ، والزجر ، والتّحسّر ، والحزن والتّضجّر ، والدّعاء ، والتّحقير ، والعتاب ، و التهديد والوعيد ، والذّم ، والتضرع ، والتّحذير ... وغيرها كثير ممّا احتملها النداء .

وسنعرض شواهد مختارة لبعض هذه الأغراض المقامية :

1- الدّعاء : كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾¹⁷

2- التّعظيم والتّشريف : نحو قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾¹⁸

3- التّحسّر : ومثاله قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾¹⁹

4- التّمني : ومثاله قول عنتره بن شداد متمنياً أن تكلمه محبوبته عبلة .

يادارعبلة في الجواء تكلمي *** وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

5- التّعجب : تنقل لنا الآية 72 من سورة هود ، صورة حيّة لتعجب السيّدة سارة زوج نبيّ الله إبراهيم - عليه السّلام - من بشاره الملائكة لها بالحمل بإسحاق ، ومن ورائه يعقوب ، وهي العقيم : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾

¹⁷- سورة الفرقان الآية 74

¹⁸- سورة المائدة الآية 67

¹⁹- سورة الفرقان الآية 27

6- التّضجّر : كقول امرئ القيس متضجّراً من طول ليله :

ألا أيّها اللّيل الطويلُ ألا انجلي ***
بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل

7- الاختصاص : كقوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾²⁰

8- الذّمّ : مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾²¹

9- الهجاء : كقول الفرزدق يهجو جريراً :

فواعجبا حتى كُليّبُ تسبّني ***
كان أباهَا نهشل ومجاشع

10- التأسّف : ويحمل معنى الحزن الشديد ، مثلما صوّرته الآية 84 من سورة يوسف :

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِبيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

²⁰- سورة هود الآية 73

²¹- سورة النّحریم الآية 7

المبحث الثاني : النداء عند البلاغيين

إذا كان النحويون قد اعتنوا بالتركيب الندائي ، وأولوه عناية فائقة في مدوناتهم ، خدمة للغة العربية ، وخوفاً من شيوع اللحن في القرآن الكريم في عموم جهودهم ، فإن إخوانهم البلاغيين الذين جاءوا بعدهم ، قد استأنسوا بأعمالهم ممن سبقهم في دراسة أهم ظواهر اللغة ومرتكزاتها ، فانكبوا بنهم ، يستكشفون أغوار النص القرآني ، ويعرضون دُرره الآسرة ، فاتحد العلمان ، وصار البلاغيون ينطلقون مما انتهى إليه النحويون ، وأرسوا أسسه ، ومضوا يؤلفون ويصنّفون ، ويتعرضون لظواهر اللغة وتراكيبها من جهة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وما تدلّ عليه القرائن من معانٍ تُفهم من السياق .

1- تعريفه:

ظهر البلاغيون متأخرين زمنياً عن النحويين ، فتأخّر علمهم كذلك من حيث النشأة عن علم النحو ، واستفادوا من جهود من سبقهم ، مثل معالجتهم لظاهرة النداء ، فطابقوا فيها من تطرّق إليه وظيفياً ، وجاءت تعاريفهم للنداء واحدة موحّدة ، واستقرّ الأمر عندهم على أنّ النداء هو :

طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرفٍ نائبٍ منابٍ أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء . وهو أيضاً : " دعوة المخاطب بحرفٍ نائبٍ منابٍ فعل كأدعو ونحوه " ²² ، كما قيل فيه : " هو طلب الإقبال بحرفٍ من حروف النداء الثمانية " ²³ والملاحظ أنّ جميع تعاريف البلاغيين تتفق على معاني : الدعوة ، والطلب ، والإقبال ، والاستحضار ، مع الإشارة إلى حذف الفعل ، وإنابة حرف النداء منابه، ممّا يتأكد لدينا يقيناً : تبنيّ البلاغيين للتعريف النحوي الوظيفي ، لتلاؤمه مع درسهم البلاغي .

²² - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الفكر ، ط 12 ، بيروت 1978 ، ص 105

²³ - احمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، 1968 ، دار النهضة ، بيروت ، ص 2109

والنداء عند البلاغيين يندرج ضمن قسم الإنشاء الطلبي ، حيث يعرفونه على أنه : " مايستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ولو في اعتقاد المتكلم ، أو هو مايتأخر وجود معناه عن وجود لفظه " ²⁴ ، ويضمونه إلى علم المعاني .

2- أدواته :

يتفق البلاغيون كذلك في أدوات النداء ، وكيفية استعمالها في الخطاب ، وهي عندهم ثمان أدوات :

أ ، وآ ، وأي ، وأي ، ويا ، وأيا ، وهيا ، ووا .

وتستعمل على صنفين هما :

- اثنتان منها للمنادى القريب ، قرباً حسياً ، أو معنوياً هما : الهمزة وأي .

- باقي الأدوات للمنادى البعيد بعداً حسياً أو معنوياً .

ويجيزون إمكانية تبادل الأدوار بين هذه الأدوات تبعاً لمنزلة المنادى في ذهن المنادي ، فقد ينزل البعيد منزلة القريب ، أو ينزل القريب منزلة البعيد لدواعٍ بلاغية ، وأمثلتهم في هذا غزيرة كالغيث .

3- أغراضه البلاغية :

أولى البلاغيين الأغراض التي يمكن أن يخرج إليها النداء عناية فائقة ، ضاممين جهودهم إلى جهود النحويين ، فأثمرت الكشف عن العديد من الأغراض التي يمكن أن يحملها تركيب النداء .

ويتحدد الغرض البلاغي لأسلوب النداء " من خلال العلاقة التي تنشأ بين المنادي والمنادى مباشرة بعد إحداث التركيب اللغوي الندائي والتصويت به " ²⁵.

²⁴ - عبد الواحد وافي ، دراسات في علم المعاني ، مكتبة الإشعاع الفنية (د.ت) ص76

²⁵ - مبارك تريكي: النداء بين النحويين والبلاغيين ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 7 ، 2007، ص181

ويشترك البلاغيون مع النحويين في كثير من أغراض النداء كالتعجب ، والاستغاثة ، والاختصاص ، والترخيم ...

وتميّزوا عن النحويين " بتجاوزهم دلالة التركيب إلى ما وراء التركيب الدلالي للنداء ، من أحوال ومقامات " ²⁶ ، فكانت النتيجة أن تعرفوا على أغراض خدمت الشعراء والكتّاب ، وعموم الناطقين ، وارتبطت بحالاتهم النفسية ، ومشاعرهم المختلفة والمتنوعة كالذكر ، والحزن ، واللوم ، والذم والمدح ، والتّحريض ، والدعاء ، والوعد ، والوعيد ، والإغراء ، والتّحدّي والتّعجيز ، وغيرها من الأغراض التي لا يتسع المقام لحصرها .
ولأبأس أن نعرض أمثلة موجزة عن بعض الأغراض التي خرج إليها النداء كما وردت في مدونات ومصنّفات البلاغيين :

1- التّحدّي والتّعجيز :

نحو قوله تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ²⁷

2- إظهار التّعظيم والجبروت :

ويتجلّى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ²⁸

ففي هذه الآية نوديت الأرض والسّماء بحرف النداء " يا " ، ثم أمرتا ، للدلالة على عظمة وجبروت الخالق - عزوجل - .

3- التّمني :

نحو قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ ²⁹

4- التّهديد :

²⁶ - المرجع نفسه ، ص 185

²⁷ - سورة الرّحمن الآية 33

²⁸ - سورة هود الآية 44

²⁹ - سورة مريم الآية 23

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾³⁰

5- الالتماس :

وجسّدته الآية 87 من سورة يوسف ، حيث يقول فيها الحقّ - عزّ وجلّ - ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا

فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾

6- التعظيم والتشريف : نحو قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾³¹

30 - سورة الممتحنة الآية 1

31- سورة المائدة الآية 67

المبحث الثالث : أنواع النداء في القرآن الكريم

آثرنا أن نتطرق إلى هذا الموضوع لحاجتنا الماسة إليه في الجانب التطبيقي من بحثنا ، ولبيان الحضور القوي لأسلوب النداء في القرآن الكريم عموماً ، وفي سورة يوسف على الخصوص .

إنّ النداء في القرآن الكريم عُلمَ بالاستقراء على أنه ثمانية أنواع هي :

1- نداء عام لعموم الناس :

ويحشر مع الإنس الجنّ وعموم المخلوقات .

كما في قول ربنا - جلّ جلاله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾³²

وتكرّر النداء بلفظة " الناس " 18 مرّة ، ولفظة " الإنسان " مرتين ، وبصورة " يامعشر الجنّ والإنس " مرتين ، وبعبارة " يا بني آدم " 6 مرّات ، خمسة (5) في سورة الأعراف ، ومرّة واحدة (1) في سورة يسن .

2- نداء بوصف الإيمان :

ويأتي بصيغة " يا أيها الذين آمنوا ... " وتكرّر النداء بهذه الصورة 89 مرّة ، كلّه في السور المدنية ، ثمّ المرّة المكملّة للتسعين (90) في سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾³³

3- نداء لجماعة مخصوصة من أهل الإيمان :

ويناديهم الله تعالى بـ " أولي الألباب " و " أولي الأبصار " ، وتكرّرت (5) مرّات ، مثل قوله تعالى في الآية 197 من سورة البقرة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾

4- نداء للكافرين :

³² - سورة البقرة الآية 21

³³ - سورة العنكبوت الآية 56

ولم يحصل إلا مرة واحدة في القرآن الكريم ، وموضعه في سورة التحريم في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾³⁴

5- نداء لصنف مخصوص من أهل الكفر :

وورد بلفظة " أهل الكتاب " (12) مرة ، كلها في سور آل عمران والنساء والمائدة ، مثل قوله

تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَا تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴾³⁵

وبلفظ " يابني إسرائيل " (6) مرات ، ولفظ " يا أيها الذين هادوا " مرة واحدة (1) في سورة

الجمعة .

6- نداء لأشخاص بأعيانهم :

فتجد في القرآن تكرر " يا أيها النبي " (13) مرة ، و " يا أيها الرسول " مرتين (2) ، و " يا أيها

المزمل " مرة واحدة (1) ، و " يا أيها المدثر " مرة واحدة (1) ، و " ياداود " مرة واحدة (1) ،

و " يانوح " مرة واحدة (1) ، و " يا آدم " مرة واحدة (1) ، و " يا إبراهيم " مرة واحدة (1) ، و

ياموسى " مرة واحدة (1) ، و " يا عيسى " مرة واحدة (1) ، و " يا إبليس " مرة واحدة (1) في

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ

﴾³⁶

7- نداء موجّه إلى الجمادات :

وورد الخطاب الإلهي موجّها إلى الجبال والنار ، والأرض والسماء مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَرْضُ

ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقْضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾³⁷

8- نداء لم يُرد به حقيقته وإنما خرج إلى المجاز :

³⁴- سورة التحريم الآية 7

³⁵- سورة آل عمران الآية 98

³⁶- سورة ص الآية 75

³⁷- سورة هود الآية 44

وحضور هذا النوع من النداء في القرآن لافت جداً ، وورد بلفظ : " يا حسرتا ، يا حسرةً ، ياويلتا ، يا بشرى ، يا ليتني ، يا أسفا ... " فهذه نداءات لم يُردّ بها حقيقتها ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾³⁸ ، فكأنّه يقول : يا حسرةً هذا أوانك فاحصّري .

ومما تقدّم ، يمكننا القول أنّ الحضور القويّ لأسلوب النداء بمختلف أنواعه ، وأدواته ، الذي تجاوز أكثر من ثلاثمئة وستين مرّة في القرآن الكريم ، لون من ألوان بلاغة القرآن ، ووسيلة من وسائل التشريع والتواصل والحجاج ، والقصّ وتوضيح المقاصد .

ومن خلال ماتمّ معالجته في هذا الفصل اتّضح لنا :

أنّ لظاهرة النداء أهميّة بالغة في التراث العربي ، ولذلك حظي بدراسة واهتمام جميع النّحاة ، والبلاغيين العرب ، ومردّد ذلك إلى ضرورة النداء في الحياة اليومية للبشر ، والأدوار الأخرى المختلفة والمتنوّعة المرتبطة بمقامات وأحوال المتخاطبين .

تضافرت جهود النّحويين والبلاغيين في دراستهم للنداء فأثمرت علمين متكاملين لا ينفصلان ، غُدّيا بمادة خام ، ومَعين لا يَنْضَب وهو القرآن الكريم ، فاكتشفوا خطابا تركيبيا راقيا ، ورد فيه النداء في أبهى صورة ، وأوجز عبارة ، حمل الأغراض المتعدّدة لهذا الفعل التّخاطبي ، بكلّ اقتدار ورُقّيّ ، وهو ماسنحاول تطبيقه على سورة يوسف بمقاربة تداولية في الفصل المّوالي .

³⁸ - سورة الزّمر الآية 56

الفصل الثاني :

سمات الخطاب الحجاجي في السّورة

المبحث الأول : التعريف بالسورة ، وأسباب النّزول

المبحث الثاني : التعريف بالحجاج في الدّرس التّداولي

المبحث الثالث : البُعد التواصلي والحجاج

المبحث الرابع : نماذج الحجاج في سورة يوسف

توطئة :

سنحاول في هذا الفصل تبين سمات الحجاج في نداءات السّورة ، من خلال مقارنة تداولية ، متدرّجين في تناول مطالبه بالعرض ، والمعالجة والتحليل ، والتّطبيق ، قاصدين الإجابة عن جملة من التساؤلات التي شدّت فكرنا ، وحرّكت رغبتنا في استكشاف وتلمّس مظاهر الإعجاز في سورة يوسف ، من مثل :

- مامدى علاقة سبب نزول السّورة ، وتموقعها ضمن ترتيب السّور ، بآليات الحجاج ؟
- هل يستجيب الخطاب القرآني لتطبيق الأبعاد التي تُبنى عليها التّداولية ؟
- هل يضطلع أسلوب النّداء في سورة يوسف بمهام الحجاج التّداولي ؟

المبحث الأول : التعريف بالسّورة ، وبيان سبب النّزول .

1- : التعريف بالسّورة :

سورة يوسف - عليه السّلام - مكيّة ، وعدد آياتها مئة وإحدى عشرة آيةً - من السّور المئين - ، وترتيبها في المصحف الثانية عشرة ، أمّا ترتيبها من حيث النّزول فيضعها المتخصّصون في الرتبة الثالثة والخمسين ، وتقع بين سورتي هود والرّعد لارتباط موضوعاتي عجيب ، وقد نزلت بعد سورة هود ، مكمّلةً لها ، ولما جاء فيها من أخبار الأنبياء - عليهم السّلام - ، وبيان أن رسالة الأنبياء واحدة ومصدرها واحد ، وبرهان على صدق نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأن قصص القرآن الكريم وحّي من الله تعالى ، وتحديّ لقريش التي كانت تفتتن بما كان يجمع لها قصاصوها مثل النّضر بن مالك من أقاصيص العجم كالروم والفرس ، " فجاءت هذه السّورة على أسلوب استيعاب القصة تحديًا لهم بالمعارضة " ³⁹ وسُمّيت بهذا الاسم ، لأنها اشتملت على قصة نبيّ الله يوسف - عليه السّلام - من البداية إلى النّهاية ، مُفضّلة مع إخوته ، ومع امرأة العزيز ، ومع ملك مصر في ذلك الوقت .

وتنقل بأسلوب قصصي بديع مُعجز ، تراوح بين السرد والوصف والحوار والحجاج مالاقيه من صنوف البلاء ، ومن ضروب المحن والشّدائد من إخوته ، ومن غيرهم في بيت عزيز مصر ، وفي السّجن ، وفي تأمر النسوة عليه ، حتّى نجاه الله تعالى من ذلك الضيق بالفرج ، ولمّ الشّمل ، وأتمّ نعمته عليه ، ظاهرة وباطنة ، فمكّنه من حكم مصر ، وأعلى كلمة التّوحيد فيها ، فعُدّت بحق أطول قصة ، ومن أحسن القصص التي نقلها القرآن الكريم من أخبار الأوّلين ، وحجّة ظاهرة على صدق نبوة ورسالة رسول الله ، وفي هذا المقام يقول الشيخ القرطبي في تفسيره : " ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن ، وكزّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة ، وبألفاظ متباينة ، على درجات البلاغة والبيان ، وذكر قصة يوسف - عليه

³⁹ - طاهر بن عاشور ، التّحرير والتّوير ، الدّار التّونسيّة للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، 1984 ، ج12

السّلام - ولم يكرّرها ، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرّر ، ولا معارضة غير المكرّر ، والإعجاز واضح لمن تأمل " 40

و ذُكر اسم يوسف - عليه السلام - في السّورة خمسة وعشرين مرّة ، ولم يُذكر في

غير هذه السّورة سوى مرتين : إحداهما في سورة الأنعام ، في قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾⁴¹ ، والثانية في سورة غافر في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾⁴² .

2- موضوع القصة :

يدور حول الثّقة بالله والتوكّل عليه وحده ، والصّبر على المكاره ، والثبات على الاستقامة ، وعدم اليأس والاستسلام ، فوحده ربي يعرف مخرجها ، ولخصته الآية التسعون من السّورة ، فيقول فيها تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

3- سبب نزولها :

تعدّدت الرّوايات ، وسنكتفي بالذي استقرّ عليه المفسّرون في بيان سبب نزول هذه السورة ، وهو اثنان :

أما الأوّل : فيما رواه الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال : " أنزل الله - تعالى - على النّبّي - صلى الله عليه وسلّم - القرآن فتلاه عليهم زمانا ، فقالوا : يارسول الله لو حدّثتنا فنزل : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾⁴³ ، زاد ابن أبي حاتم فقالوا : يارسول الله لو نكّرتنا ، فأنزل الله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾⁴⁴

أخرج ابن جرير ، عن ابن عبّاس قال : قالوا يارسول الله لو قصصت علينا ، فنزل :

⁴⁰ - نقلا عن دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية اللغة

والأدب العربي، 2013، ص 126

⁴¹ - سورة الانعام الآية 84

⁴² - سورة غافر الآية 34

⁴³ - سورة الزّمر الآية 23

⁴⁴ - سورة الحديد الآية 16

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ... الْآيَةَ ﴾⁴⁵

- وأما الثاني : أنّ جماعةً من اليهود أرسلوا إلى كفار قريشٍ يطلبون منهم اختبار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن يسألوه عن نبيٍ خرج من بلاد الشام إلى أرض مصر وعن تفاصيل قصّته، فلما سأله مشركو مكّة أنزل الله -تعالى- سورة يوسف .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ السّورة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فترة عصيبة حرجة من حياته - عليه الصلاة والسلام - ، حيث توالى عليه وعلى المسلمين الشدائد والنكبات ، فزيادة على تهجيرهم قصرا إلى شعاب مكة - الحصار الاقتصادي - فقد فقد نصيريه : زوجته ومواسيته الحنون - خديجة - وعمّه - أبا طالب - حاميه ومُعينه وسنده ضدّ قريش ، حتى عُرف ذلك العام بعام الحزن ، فصار في حال غربة ووحشة وانقطاع ... ، والحال هذه كان لابدّ للعناية الإلهية أن تتدخّل فتجبر هذا الكسر ، وتعيّنه بما يقويه ويعضّده ، فأنزل عليه سورة يوسف تسليةً له ، وتخفيفاً لآلامه ، وإعلاماً له بأنباء وأخبار السابقين ، إعجازاً وتأييداً له على صدق نبوّته ، وتعليماً له أنّ بعد الشدّة الفرّج ، وأنّ بعد الضيق المخرج ، وبشرى سارة بالأنس والطمأنينة ، والنصر المبين ، والتمكين في الأرض ، ولو بعد حين .

⁴⁵ - السيوطي ، أسباب النّزول المسمّى لباب النّقول في أسباب النّزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ،

المبحث الثاني : التعريف بالحجاج في الدرس التداولي .

مدخل :

إنّ تتبّع المسار الحجاج التداولي تاريخياً ، ومحاولة تعريفه هو أشبه برحلة فكرية طويلة، تبدأ من السّاحات العامة في أثينا القديمة حيث كانت الكلمة أداة للتأثير في الجمهور، وتنتهي عند التحليلات اللسانية الدقيقة التي تكشف عن القدرة الحجاجية الكامنة في بنية اللغة نفسها. هذا المسار يوضح كيف انتقل التركيز من "ماذا نقول ؟ " (المحتوى المنطقي) إلى "كيف نقول ؟ " و"لماذا نقول ؟ " (الفعل التّواصلي والإقناعي) .

ورأينا أنّه من اللازم بعد أن ندرج التعريفين اللغوي والاصطلاحي للحجاج ، تتبّع مساره التاريخي بإيجاز ، والتركيز على جهود بعض الأعلام التي نظّروا له ، وتركوا بصمات قويّة لامتّحي في حقل الحجاج التداولي .

- **الحجاج لغة** : يحمل معنى القصد ، أو البرهان والدليل ، أو التّخاّصم والتّنازع ، جاء في لسان العرب في مادة (ح ج ج) : " حاجبته أحابّه حجاباً ومحابّةً حتى حجّبتّه ، أي غلبته بالحجج التي أدليّت بها ، ... والحجّة البرهان ، ... واحتجّ بالشيء اتّخذه حجّةً " 46 ، فالمحاجج يشترك مع الطرف الآخر في نشاط ذي طبيعة فكرية تواصلية ، يعتمد فيه إلى استعمال الدّليل والبرهان لغاية معيّنة أو مقصودة لذاتها أثناء الحجاج .

أمّا في **الاصطلاح** : فيصعب الحصول على تعريف موحد له ، حيث تلوّن بأفكار ومنطلقات منظرية ، إذ نجده بمعانٍ مترادفة ومتقاربة ، فاستعمل بمعنى : الجدل ، والبرهان ، والمناظرة ، والاحتجاج ، والإقناع ، والإذعان والتأثير...

ولاختصار المسح التاريخي لمسار الحجاج، وتوجيهه دون تشعب، آثرنا أن نقسم

الرّصد إلى مرحلتين مختلفتين: قديمة وحديثة، تشملان الفكرين الغربي والعربي، فكيف تطرّق إليه، وجسّده أقطاب الفلسفة والخطابة، والفاعلين في كلّ حقبة؟ .

46 - ابن منظور، لسان العرب ، مادة حجج ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، مجلد 2 ،

أولاً : الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديماً :

1-1 الحجاج في الفكر الغربي قديماً :

تتاول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية مبكراً ، بدرجة عالية من الدقة والشمولية ، وبرز اسم السفسطائيين⁴⁷ في أروقة أثينا ، ثم سقراط وأفلاطون ومن بعدهم المعلم - أبو الحجاج - أرسطو ، حيث نظروا لفنّي الخطابة والجدل ، وبينوا من خلالهما كيفية الإقناع والتأثير على جمهور المتلقين ، فعُدّت هذه الطريقة حجاجاً تداولياً قائماً بأصوله .

اعتبر السفسطائيون (sophists) الحجاج في امتلاك سلطة القول ، والقدرة على السيطرة على أسماع الناس، والتأثير على اعتقاداتهم وميولاتهم ، وتهيئة الوجهاء والأثرياء لقيادة المجتمع لاحقاً .

أمّا أفلاطون فخالفهم، وقال بأنّه تملّق، ومغالطة وسوء نية مقصودة ، ورأى أنّ الخطابة نوع من الجدل الذي يسعى للبحث عن الحقيقة المطلقة (العلم والخير)، والحجاج عنده يقوم على أمرين هما: الفلسفة والإقناع، لتحقيق القبول لدى الجمهور، والتأثير عليهم. واكتمل الحجاج التداولي على يد المعلم - أرسطو- فاعتُبر بحق المؤسس الحقيقي لنظرية الحجاج في الغرب من خلال كتابه " الخطابة "، الذي وضّح فيه فن الإقناع عن طريق الخطابة، ويرى " أنّ الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية، كما أنّها البحث عن كلّ حالة من الوسائل المُوجدة للإقناع " ⁴⁸.

⁴⁷ - السفسطة: تيار فكري ظهر في مجتمع الإغريق، وكان أصحابه خطباء ومعلمو خطابة ، يتاجرون بالعلم ،

ويتلاعبون بمبادئ الأخلاق ، ويطمسون معالم الحق ، لتحقيق مكاسب مادية ، فانكبوا على تعليم الخطابة للوجهاء وأبناء الأثرياء ، قصد تهيئتهم لقيادة المجتمع .

⁴⁸ - هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، لفريق البحث والبلاغة والحجاج ، إشراف : حمّادي صمّود ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، سلسلة الآداب ، 1988 ، ص142.

وقد تناول الحجاج من زاويتين متلازمتين: زاوية بلاغية: تركّز على كلّ وسائل الإقناع، وزاوية جدلية: تعتبر الحجاج عملية تفكير تتمّ في بنية حوارية، تنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج.

والحجاج الإقناعي عنده يتمّ بثلاثة أركان هي :

1- الإيتوس / الباث / الخطيب / Ethos : يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب

ومصداقيته، وكيف يؤثر ذلك على اقتناع الجمهور ، وثقته به .

2- الباتوس / المتلقي / المستمع / Pathos : ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب

في إثارتها لدى المستمعين ، وهو ما ينشده الحجاج التداولي .

3- اللوغوس / الرّسالة / الخطبة / Logos : ويمثل المنطق والبراهين التي يقدهما المتكلم

، لعرضها على الجمهور ، وجعلها في مستوى المتلقين .

1-2 - الحجاج في الفكر العربي القديم :

يضرب الحجاج بجذور قويّة في الخطاب العربي القديم ، فعُرف عندهم على أنّه

البيان والحوار، والجدل والمجادلة والإقناع ، والإفهام ، ولذلك ارتبطت البلاغة العربية

بالحجاج باكراً، وعاشت عصور ازدهارها في ارتباطها به ، إذ لعبت دوراً مهماً في الحياة

العقدية والسياسية التي طبعت تلك الحقبة في البيئتين العربية والإسلامية ، ولمع في هذه

الفترة بلاغيون كُثُر تناولوا الحجاج التداولي ، واعتنوا بفكرة المقام ، ومطابقة الكلام لمقتضى

الحال ، غير أنّنا سنقتصر على بعض النماذج ممّن تجسّد الحجاج واضحاً في مؤلفاتهم

كالجاحظ ، والسكاكي خصوصاً .

1-الجاحظ:

يُعتبر الجاحظ مرحلة مؤسّسة في البلاغة العربية بمؤلفاته التي تتكلم بالحجاج

التداولي صراحةً ، على نحو " البيان والتبيين " ، " فأطلقوا على جهوده " الحدث

الجاحظي " ، إذ يرى أنّ البيان والبلاغة يجب أن يحقّقا الإفهام والإقناع ، والخطاب اللغوي

المُقنع هو الذي يراعي شروط المقام ، وأحوال المخاطبين ، فيقول : " وجماعُ البلاغة البصرُ

بالْحُجَّة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة ، وإظهار ما غمض من الحقّ " 49 ، ومواضع الفرصة هي المقام ، ومراعاة أحوال المتلقي .

والبيان عنده كذلك يتّسع ويضيق بحسب المقام مشكّلا الحجاج " إنّه اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ... إنّه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي ... ، لذا فبأيّ شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت المعنى فذلك هو البيان " 50 .

2- أبو يعقوب السكاكي :

سطع نجم البلاغي " السكاكي (ت 626هـ) ومؤلفه " مفتاح العلوم " حيث قام فيه بتنظيم البلاغة وتبويبها ، والتعمق بدقّة في قضايا اللّغة بمنظور تداولي ، فتناول الحجاج من خلال تصنيف الأساليب وربطها بالمقام وحال المخاطب ، ورأى : " أنّ مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام الشكر يُباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يُباين مقام التعزية ، ومقام المدح يُباين مقام الذمّ ... ، وكذا مقام الكلام مع الذكيّ يغيّر مقام الكلام مع الغبيّ ، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر ، ثمّ إذا شرعت في الكلام ، فكلّ كلمة مع صاحبها مقام ، ... وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال " 51 .

كما حلّ الوظائف التداولية لأضرب الخبر ، وبين كيف يتدرّج المتكلّم في استخدامها بناء على درجة تقبّل المتلقي للخطاب ، أو إنكاره له ، فضلا عن ربطه بين البيان والإفهام ، وبين علمي المعاني والبيان وعلم الاستدلال ، فالصّورة الفنيّة - البيانية - عنده لا تشكّل الجمالية فقط ، وإنّما هي تشكيل استدلالي يستهدف استمالة المتلقين وإقناعهم بحجّيتها .

49 - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ، مكتبة الخانجي

، ج 1 ، د.ط ، د.ت ، ص 88

50 - المرجع نفسه ، ص 67

51 - أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ)، مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د.ط ، د.ت ،

ثانيا : الحجاج في الفكر الغربي والعربي حديثا :

1- الحجاج في الفكر الغربي الحديث :

شهد الحجاج في الفكر الغربي الحديث تطورا كبيرا ، متجاوزا النظرة الأرسطية القديمة ، التي ركزت على الخطابة والجدل ، ليتجه نحو فهم أكثر شمولية ، مراعيًا الجوانب التداولية والاجتماعية للناس ، فظهرت نظريات متعدّدة ، أعادت تعريف الحجاج ، وأعطته مكانته التي تليق به في المجتمع ، وآثرنا أن نركز على جهود أبرز الفاعلين في حقل الحجاج ، وكيف أسهموا في تطويره ؟ .

1-1 - نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتكا :

نشأت هذه النظرية سنة 1958م ، على يد الباحثين البلجيكيين : عالم المنطق بيرلمان ، وزميلته النفسانية الاجتماعية "لوسي تيتكا" ، من خلال مؤلفهما الذي وسماه بـ : "مصنّف في الحجاج : البلاغة الجديدة" ، وهو عمل مشترك جمع خلاصة أبحاثهما المتعلقة بالحجاج ، وقد حاولا فيه إخراج الحجاج من أسر الخطابة والجدل الأرسطيين إلى واقع أكثر شمولية ، حيث تستخدم اللغة في كثير من العلوم المتعلقة بحياة الناس كالفلسفة والقانون وعلوم الاجتماع .

يعرّف بيرلمان الحجاج بقوله " هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " ⁵².

وفي موضع آخر يريان أنّ موضوع الحجاج وغايته هو الاستمالة والتأثير فيقولان " أن يجعل العقول تُدعن لما يُطرح عليها ، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجع الحجاج ماؤقّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه ، أو الإمساك عنه ، أو هو ماؤقّق على الأقلّ في جعل السامعين مهيبين لذلك العمل

⁵² - حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لفريق البحث والبلاغة والحجاج، منشورات كلية الآداب، متّوبة، تونس، سلسلة الآداب، 1988، ص299

في اللحظة المناسبة⁵³ ، فالحجاج يجعل العقول تُدعن ، أي تقبل وتتفعل وتتأثر ، وتنقل إلى مرحلة التطبيق العملي لتغيير أو تعديل السلوك البشري .

والحجاج عندهما حوار بين الخطيب وجمهوره ، يجري على أرضية تداولية وتفاعلية وخلافية ، يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضية تفاهم واحدة ، ذات مقدّمات ومنطلقات ومواضيع مشتركة .

كما قسّم الحجاج بحسب الجمهور إلى نوعين :

- **حجاج إقناعي** : موجّه إلى خاصة الناس ، ويرتبط بكلّ ما هو ذاتي ، حيث يسمح بتوظيف الخيال والعاطفة ، ولذا يجب تكييف الحجج بما يناسب معتقداتهم وقيمهم كالعلماء والحكماء مثلاً .

- **حجاج اقتناعي** : موجّه إلى عموم النّاس بما فيهم الخواص ، ويرتبط بكلّ ما هو عقلي ، كخطب الجمعة ، أو الحملات الانتخابية.

فضلاً عن تبيينهما سمات الحجاج ، وهي خمسة :

- 1- أن يتوجّه إلى مستمع . (فرد أو جماعة)
- 2- أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية مفهومة ومناسبة .
- 3- مسلماته لاتعدو أن تكون احتمالية .
- 4- يتّسم بالمنطقية .
- 5- نتائجه ليست ملزمة . (نفي الحقيقة الواحدة في المُختلف فيه)

⁵³ - حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لفريق البحث والبلاغة والحجاج، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، سلسلة الآداب، 1988، ص 299

1-2- نظرية أفعال الكلام : (speech act theory) ⁵⁴

وظهرت هذه النظرية عند الفيلسوفين واللغويين : الانجليزي أوستين في كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلمات ؟ " **How to Do Things with Words** سنة 1962 ، وتلميذه الأمريكي سيرل في مؤلفه " أفعال الكلام " " **Speech Acts** " سنة 1969 ، ويريان أنّ اللغة ليست مجرد وسيلة لوصف العالم ، بل هي أداة لإنجاز أفعال متعدّدة مربوطة بالسياق في الواقع المعيش ، مشكّلة عملية تواصلية تحاورية تفاعلية بين طرفي الخطاب .

ويميّزون بين ثلاثة مستويات في أيّ فعل كلامي ، هي :

1- الفعل اللفظي (locutionary act) : وهو مجرد التلفّظ بالكلمات ، وتكوين جملة

ذات معنى نحوي ودلالي .

2- الفعل الإنجازي / القصدي (illocutionary act) : وهو القصد أو النية من وراء

القول ، أو القوّة التي يحملها القول ، أي : الفعل الذي نؤدّيه بقول شيء ما ، مثل : الوعد ، الأمر ، السؤال ، الدعاء ، التحذير ... " ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي " ، ⁵⁵ وهو أهم جانب تركّز عليه نظرية أفعال الكلام .

3- الفعل التّأثيري / الاستلزامي (perlocutionary act) : ويقصد به الأثر أو النتيجة

التي يحدثها القول على المستمع ، مثل : الإقناع ، تعديل سلوك ، تخويف

إجمالاً يمكن القول : إنّ الأفعال اللغوية الصّادرة عن المتكلّم ، والموجّهة إلى المتلقي ،

والهادفة إلى إقناعه ، والتّأثير فيه هي جزء أساس من الحجاج التّداولي .

⁵⁴ - ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر: عبد القادر قينيني ، مطبعة إفريقي

الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص114 - 125

⁵⁵ - دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية اللغة والأدب

العربي، 2013، ص65

1-3- نظرية الحجاج في اللغة : (l'argumentation dans la langue)

ظهرت هذه النظرية في سبعينيات القرن الماضي ، وبالتحديد سنة 1973 على يد اللغوي الفرنسي " ديكرو " ، وزميله " إنسكومبر " ، وجمعت جزئياتها في كتاب أسماه : " الحجاج في اللغة " ، وعبره سعياً إلى إثبات فكرة عامّة مفادها أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهريّة وظيفة حجاجية، وأنّ الحجاج متجذّر في اللغة ، ولصيق بها التصاق وجهي العُملة الواحدة التي لا يمكن فصل أحد وجهيها عن الآخر، ومدمج في مستوياتها بشكل مقصود ، " لا في البحث عمّا هو واقع خارجها " ⁵⁶. ويضيف صاحباً النظرية أنّ اللغة تحمل بعداً حجاجياً في جميع مستوياتها، فهي عندهما وسيلة في جوهرها، ويقولان: " إنّ اللغة بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة ، لها مسرح محاورة ومواجهة بين الذات البشرية " ⁵⁷.

ويحصران وظيفة الحجاج في التوجيه والتأثير والاقناع الحاصلين عن دلالة الملفوظ، وفي هذا الصدد يصرّحان: " والآية في توجيه السّامع أنّنا حين نتكلّم إنّما نروم في العادة التأثير في هذا السّامع أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملاً ما أو إزعاجه أو إحراجة، وغير ذلك. " ⁵⁸

وتتبنى النظرية اللغوية الحجاجية عند ديكرو وإنسكومبر على الرّكائز التالية:

- 1 - الحجاج مدمج في جميع مستويات اللغة . (التداولية المدمجة).
- 2- الرّوابط الحجاجيّة: وأشهرها: لكن، حتّى ، بل، إذن، بالرّغم من ...
- 3- العوامل الحجاجيّة : مثل : بالكاد ، تقريباً ...
- 4- السّلام الحجاجية : وتعني: ترتيب الحجج بصورة متدرّجة صعوداً أو نزولاً ، حسب قوّتها أو ضعفها ، ولها قوانين ثلاثة تُبنى عليها هي : النّفي ، القلب ، الخفض .

⁵⁶ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 34

⁵⁷ - المرجع نفسه، ص35

⁵⁸ - المرجع نفسه، ص36

لقد أحدثت هذه النظرية ثورة في حقل التداولية، والبلاغة الجديدة، حيث إنها تجاوزت النظرة القديمة للبلاغة الشكلية الخارجية، وأولت عناية بالغة باللّغة اليوميّة واستخداماتها ، فضلا عن تأثيرها في مجالات عدّة كاللّسانيات، وتحليل الخطاب، وحتى تعليم اللّغات الأجنبيّة.

2- الحجاج في الفكر العربي الحديث :

ساعدت اجتهادات الغربيين منتصف القرن الماضي المفكرين العرب ، في بناء موقف خاص بهم حول هذا الدرس الجديد ، والذي ألقوه - كذلك - ضاربا بجذوره في التّراث العربي ، فعنوا بمبحث الحجاج ، وأدرجوه في منطق تفكيرهم .

وتجلّت هذه الجهود العربية في أعمال مجموعة بارزة من الباحثين في المغرب والمشرق العربيين ، نعرض منهم على سبيل المثال لا الحصر : د . طه عبد الرحمن ، وأبا بكر العزّاوي ، ومحمدا العمري ، وعبد الله صولة ، وفرق ومخابر البلاغة والحجاج على مستوى كليات الآداب بمنوبة التّونسيّة ، والقاضي عياض بمراكش المغربيّة ، والقصيم بالسّعوديّة .

1/ الحجاج عند طه عبد الرحمن :

كونه أستاذا للفلسفة ، تلوّنت نظرتة للحجاج بالطابع الفلسفي ، وظهر جليّا في مصنّفاته ك: " اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي " ، و" في أصول الحوار وتجديد الكلام " . يعرف الحجاج بقوله : " وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداوليّة جدلية ، فهو تداولي ، لأنّ طابعه الفكري مقامي اجتماعي ، وهو جدلي لأنّ هدفه إقناعي ، قائم بلوغه على التزام صور استدلالية " 59 .

ويضيف في كتابه " اللّسان والميزان ... " : " أنّ الحجاج عبارة عن فعل تكلمي لغوي مركّب أو مؤلّف من أفعال تكلميّة فرعيّة، وموجّه إلى إثبات أو إبطال دعوى معيّنة " 60 . فضلا عن تحدّثه عن نماذج التّواصل، وأنواع الحجاج ومراتبه، وتركيزه على دراسة السّلم الحجاجي، والاستعارة باعتبارها أسلوباً تعبيرياً، يمدّ الخطاب قوّة التّقرّع والتكوثر.

59 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز العربي الدار البيضاء ، بيروت ، ط2 ، 2000م ، ص57

60 - طه عبد الرحمن ، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 262

2/ الحجاج عند محمد العمري :

أسهم بشكل كبير في إثراء الدرس البلاغي العربي وتجديده ، لاسيما في ما يتعلق بنظرية الحجاج ، إذ حاول إقامة جسر بين البلاغة العربية القديمة ، ونظريات الحجاج الحديثة ، ونلمس هذا في مؤلفه : " في بلاغة الخطاب الإقناعي " ، حيث أولى عناية بالغة بالمقام ، واعتبر أنّ الحجاج : مكوّن أساسي للخطاب الهادف إلى الإقناع والتأثير .

3/ الحجاج عند أبي بكر العزاوي :

يرتبط الحجاج اللغويّ العربي ارتباطا وثيقا بهذا الاكاديمي المغربي ، وتشهد له مؤلفاته التي صدرت له في هذا الحقل المعرفي ، متأثرا بأفكار أستاذه ديكرود من جهة ، ومعتمدا على آراء علمائنا العرب القدامى من جهة ثانية ، ففي مؤلفه : " اللّغة والحجاج " ، يقول عن الحجاج إنّه : " إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التّقديم ، والتّسلسل ، والترتيب ، والاستنتاج بهدف التأثير والإقناع " ⁶¹ ، ويظهر جليا تأثره بفكر اللغوي الفرنسي " ديكرود " في أنّ الحجاج متأصل في اللغة ذاتها ، وكامن في الألفاظ والعبارات ، وأنّ اللغة لها وظيفة حجاجية بقصد التأثير والإقناع ، " فلا تواصل من غير حجاج ، ولا حجاج من غير تواصل " ⁶² .

4/ الحجاج عند عبد الله صولة :

يخلص اللغويّ التّونسي في أبحاثه إلى أنّ " الخطاب القرآني خطاب حجاجي مقنع بوجه من الوجوه ، وهو حوار دائر بينه وبين متلقّيه " ، أو هو : " حوارية معتبر فيها حضور الطرف المتلقي حضوراً فاعلاً ، وليس هوعنفا مسلّطا على العقول في شكل استدلالات جامدة " ⁶³ .

⁶¹ - أبو بكر العزاوي ، اللّغة والحجاج ، مؤسسة الرّحاب الحديثة للتوزيع والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 م ، ص 08

⁶² - المرجع نفسه ، ص 182

⁶³ - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001م ، ص 610

ويرى أنّ الحجاج ظاهرة شاملة ومتأصلة في اللغة والخطاب ، لاسيما في القرآن الكريم ،
وأَنّه لا يمكن فصله عن البلاغة والتداولية ، بل هو جوهر العملية التّواصلية الهادفة إلى
الإقناع والتأثير .

المبحث الثالث : الحجاج والبعد التواصلي

بعد هذه الجولة التاريخية ، متعددة المحطات والحقب ، والتي تعرّفنا فيها على واقع الحجاج في البيئتين الغربية والعربية - قديمهما وحديثهما - ، وأنواعه، وأقطابه ، حيث رست سفينته على الشاطئ اللغوي، واكمل هاهنا تنظيرا وأداءً وظيفيا يوميًا ، ليتوجّه بالخصوص إلى واقع الناس ، ومايقصدونه من أغراض متعدّدة أثناء التلقظ بالكلام ، باللغة اليومية المتداولة.

ومادام الحجاج متعلّقًا بالمتلقي ، فإنّه يروم عدّة مناحي فيه كالتواصل ، والإقناع والتأثير ، وتوجيهه لتقويم سلوكه وتعديله ، أو التأكيد على صحّته وقوّته ، فيتمسك به . فما المقصود بالبعد التواصلي في الحجاج ؟ . وماهي تجلياته ؟

يشكل البعد التواصلي محورا أساسيا في نظرية الحجاج ، لا ، "بل هما متلازمان

ومتكاملان " ⁶⁴ ، ويشير إلى الجانب المتعلّق بالتفاعل والتأثير المتبادل بين المتكلم والمخاطب في عملية الحجاج ، ويركّز هذا البعد على كيفية استخدام اللّغة ووسائل الإقناع المختلفة للتأثير في وجهة نظر الآخر، وإحداث تغيير في موقفه أو سلوكه كما عرفنا مع رواد أقطاب البلاغة العربية ، والبلاغة الجديدة ⁶⁵، والنظرية اللغوية في الحجاج ⁶⁶.

يتجلى البعد التواصلي في الحجاج في عدّة جوانب منها :

1- الاعتماد على الجمهور : نجاح عملية الحجاج ، تتوقف على مراعاة طبيعة المتلقي

وخصائصه (معارفه ، مؤهلاته ، معتقداته وقيمه ، موقفه المسبق من القضية ...) ، ثم

تقديم الحجج مكيفة لتناسب الجمهور، فيحصل حينئذٍ التّواصل الفعّال ، ويتمّ فهم المخاطبين المستهدفين .

⁶⁴ - أبو بكر العزّاوي ، اللّغة والحجاج ، مؤسسة الزّحّاب الحديثة للتوزيع والنّشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 م ، ص

⁶⁵ - يُنظر : حمّادي صمّود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لفريق البحث والبلاغة والحجاج، منشورات كلية الآداب، مَنوبة، تونس، سلسلة الآداب، 1988، ص299

⁶⁶ - يُنظر : عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 34

2- **الغاية التأثيرية** : يتجاوز الحجاج مجرد توصيل المعلومات إلى المتلقين ، إنه يستهدف غايات تأثيرية ، كالإقناع بوجهة نظر ، أو زيادة درجة الإذعان بفكرة معينة كما عند بيرلمان ، أو حتى توجيهه لاتخاذ سلوك معين مستقبلا مثلما هو الحال عند ديكرو ، وهذا التأثير لا يتم إلا من خلال التواصل الفعال .

3- **الآليات الخطابية** : يستخدم الحجاج آليات خطابية وتواصلية متنوعة لتحقيق غايته ، مثل التراكيب والروابط الحجاجية (الواو ، ثم ، الفاء ، لكن ، حتى ، إذن ، لأن ، بالرغم من ...) ، والأفعال الكلامية المتنوعة كالتأكيد ، أو الطلب أو السؤال أو الوعد ، أو التهديد ... ، وحتى الأساليب اللغوية مثل (التوكيد ، النفي ، المقارنة ...) ، وغير اللغوية كالسياق الذي يشمل الظروف المحيطة بعملية الحجاج بما في ذلك الزمان والمكان ، والعلاقة بين الخطيب والمتلقي ، اجتماعيا وثقافيا وحتى عقديا ، كل ذلك يجب أن يُوظف بعناية كبيرة لتحقيق أقصى تواصل وتأثير .

4- **بناء العلاقات** : يساهم التواصل الحجاجي في بناء وتأسيس العلاقات بين الأفراد ، حيث يصبح وسيلة للتعاون والتفاعل بين الطرفين بتوافق وانسجام ، وتقاسم المحتوى الدلالي وتعزيز الانتماء للجماعة ، فضلا عن تبادل الأفكار ، وتعزيز الفهم المتبادل ، وتمتين أواصر الثقة بين المتلقي والمتكلم ، والمساعدة على تطوير مهارات التفكير ، وحلّ المشكلات .

إنّ الحديث عن البعد التواصلي في الحجاج ، هو دعوة للانتقال من اعتباره بنية منطقية مجردة ، إلى النظر إليه كنشاط إنساني حيوي ، وفعال ، وسياقي ، يهدف إلى بناء التفاهم والتأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات ، والذي يتطلب فهما عميقا لآليات التواصل ، واللغة المتداولة ، والتفاعل الإنساني .

المبحث الرابع: نماذج الحجاج في السورة

سورة يوسف مكيّة ، والقرآن المكيّ معروف بخاصيّة الحجاج والإقناع، الذي يستهدف التأثير في المخاطبين ، وتعديل سلوكياتهم بآليات متنوّعة ، قريبة للعقول ، ومناسبة للفطرة ، إذ "جاء ردّا على خطابات تحمل عقائد مخالفة ، ومناهج حياتية فاسدة ، ولذلك كان مسرحا لتحاوّر الدّوات ، وتجادلها ، كما نقل أقوال المتخاصمين والمتخاطبين المتنوعة " 67 .

كما يميّز السّورة الحضور القوي لأسلوب النّداء، حيث وصل إلى خمسة وعشرين مرة ، تعدّدت أغراضه ومراميه التّداولية ، إذ ابتدأت بالنّداء ، واختتمت به ، فورد في سياق قصصي مصوّر ومشوّق ، وتتابع موضوعاتي متّصل ومُحكّم ، وانسجام بينها وبين السّورة التي سبقتها ، والتي تلتها ، ولذلك تعدّدت فيها المُخاطبات والمُحاورات ، وأبانت عن سمات ثقافية واجتماعية ، وزمكانية أحاطت بالنّداء فضلا عن توافرها على حجج أخرى متعلّقة بالشّكل والموضوع .

سنحاول - مستمدين العون من الله تعالى - أن نعرض جملة من الحجج التي حفلت بها السّورة عموما ، وحملها أسلوب النّداء بشكل متنسّق مع سياق القصة بشكل أخصّ، والتي هي آليات تداولية، مستأنسين بتفسير الإمامين : السّعدي ، وابن عاشور - رحمة الله عليهما - فكيف حمل أسلوب النّداء مهمّة الحجاج في سورة يوسف ؟ وماهي تجليّاته ؟ وما قصديته ؟. يحسن بنا كثيرا ، ونحن بصدد عرض آليات الحجاج التي تضمّنها أسلوب النّداء في السورة ، أن نُورد ما قاله الصّحابي عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لأنّه مفتاح وإضاءات لهذا المبحث ، قال : " إذا سمعت الله في القرآن الكريم يقول : يا أيّها الذين آمنوا ، فازعها سمعك ، فإنّه خيرٌ يُؤمّره ، أو شرٌّ يُنهي عنه " .

67 - د. فاطمة الزهراء المالحى ، حجاجية الخطاب القرآني - سورة يوسف أنموذجا - ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد 14، 2018

أولاً : أفعال الكلام :

يُعرف النداء أنّه أسلوب إنشائي طلبي، يصنّفه التّداوليون ضمن الأفعال الكلامية التي تحمل " أفعالاً إنجازية أو تأثيرية من قبيل الأوامر، والنّواهي، والتّوجيهات المرتبطة بالعادات والأعراف والأخلاق " ⁶⁸، والتي ينشئ منها المتكلم مضامين جديدة مستقبلاً، ذلك إنّها خاضعة للحوارية غالباً، ويراد منها إلزام المتلقي بفعل شيء مستقبلاً، ومن هنا تأتي أهميته، فهو يمهد لما يأتي بعده، وهو ماوقفنا عنده في نداءات سورة يوسف - عليه السلام - . وسنركّز في تحليلنا للعبارات الملفوظة الإنجازية على الأفعال الإنجازية الصريحة المباشرة، والتي يظهر فعلها كالنداء، والأمر، والنهي، والاستفهام، وتكون حاضرة الزمن للمتكلم.

1- الأمر والنهي :

يُعدّ الأمر والنهي من الأفعال الإنجازية، التي تهدف إلى توجيه المخاطب لسلوك معين، ومن أمثله في السّورة قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ⁶⁹.

إنّ أفعال الأمر التي أصدرها نبيّ الله يعقوب - عليه السلام - (اذهبوا، تحسسوا) تكتسب بعداً حجاجياً، إذ تضمّنت حجّة تفضي إلى نتيجة ضمنية، وهي تيقن سيّدنا يعقوب - عليه السلام - من حياة ابنه يوسف - عليه السلام -، لذلك طلب من أبنائه الدّهاب لمصر للبحث عن يوسف وبنيامين، لتتشكّل هذه الأفعال الأمرية مسارا حجاجياً، جاء على النّحو الآتي:

الحجج ← النتيجة

- اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه - يوسف حي على قيد الحياة بشكل مؤكّد
- أمّا فعل النهي (لا تياسوا ...) ففيه توجيه الأبناء إلى سلوك معين، بالنّصح وعدم اليأس من رحمة الله، وحسن الظنّ به، واليقين برحمته ويسره، لأنه لا يقنط من رحمة الله إلاّ الكافرون، وهذا دليل على قنوط الكافر وقت الشّدّة، أمّا المؤمن فيرجو رحمة ربّه.

⁶⁸ - د . العربي بومسحة، تداولية أسلوب النداء في التراث النّحوي العربي، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، المجلد

10، العدد 1، مارس 2019

⁶⁹ - يوسف - الآية 87

الملاحظ أنّ المسار الحجاجي للفعل الكلامي (النهي) جاء عكسياً، إذ النتيجة يمثلها هذا الفعل، والحجة ضمنيّة غير صريحة.

الحجة (ضمنيّة) ← النتيجة

- الكافر يقنط حال الشدّة - لاتيأسوا من روح الله

2- الاستفهام :

يُعدّ الاستفهام من الملفوظات الإنجازيّة ، التي تحفّز المتلقي ، وتثير فكره ، وتحرك معتقداته ، بقصد التأثير عليه ، واستمالته وإقناعه بما يُلقى عليه من أطروحات ، فهو " يحمل افتراضات ضمنيّة غير مُصرّح بها ، تجعله يحمل طاقة حجاجيّة ، ولا يحتاج إلى إجابة ، لأنّه وسيلة حجاج " ⁷⁰ ، ويسمّيه " ديكره " بالاستفهام الحجاجي " الذي يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية " ⁷¹ .

لاحظ القوّة الإنجازية للاستفهام الوارد في الآية 39/يوسف ، يقول الله -عزّ وجلّ - ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ، حيث حمل تنبيهاً وتقريراً لصاحبي السّجن ، ودعوتها إلى توجيه الذهن نحو المقارنة والاستدلال العقلي للوصول إلى التّوحيد ، كما حمل نفيّاً لتعدّد الآلهة ، وإقراراً وإثباتاً للّله الواحد ، وللإمام ابن عاشور - رحمة الله عليه - تفسير وتخرّيج لطيف لهذا الاستفهام ، فيقول : " أراد بالكلام الذي كلّمهما به تقريرهما بإبطال دينهما ، فالاستفهام تقريره ... ، إذ فرض لهما إلهاً واحداً منفرداً بالإلهيّة ، كما هو حال ملته التي أخبرهم بها ، وفرض لهما آلهة متفرّقين ، كلّ إلهٍ منهم ، إنّما يتصرّف في أشياء معيّنة من أنواع الموجودات تحت سلطانه ، لا يعدوها إلى ما هو من نطاق سلطان غيره منهم ، وذلك حال ملّة القبط ، ثمّ فرض لهم مفاضلةً بين مجموع الحاليين : حال الإله المنفرد بالإلهيّة ، والأحوال المتفرّقة للآلهة المتعدّدة ، ليصل إلى إقناعهما بأن : حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى " ⁷² ، فالاستفهام ليس بحاجة إلى إجابة

⁷⁰ - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 233

⁷¹ - أبو بكر العزاوي ، اللّغة والحجاج ، مؤسسة الرّحاب الحديثة للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010 م ، ص 57

⁷² - محمد الطاهر بن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، الدّار التّونسيّة للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، 1984

منتظرة ، بل أدى إلى إثبات الجواب المفترض ، وهو الإقرار علناً بوجود إله واحد . فالقوة الإنجازية هنا هي توجيه الذهن نحو المقارنة والاستدلال العقلي الذي يخدم قضية التوحيد.

3- النداء :

بنية تركيبية تُنتج الإقبال حسّاً أو معنى ، باستعمال حرف ملفوظ ظاهر ، أو مُضمر على مستوى متضمّن التركيب ، والحاصل في نداءات السّورة ورود الحرف " يا " دون سواه ، لأنّه الأصل ، ومناسبته لجميع المسافات ، قريبا ومتوسطها وبعيدها ، فلم يرد في السورة لمجرّد لفت الانتباه ، وطلب الإصغاء ، وإثما " ورد لتنفيذ فعل إنجازي ما عن طريقه ... " ⁷³ ، لأنّ طاقته الإنجازية تتجسّد فيما سيأتي بعده ، ذلك أنّها تدخل ضمن قصديّته ، فتطلب من المخاطب الانتباه إليها ، وتأمّلها جيّدا .

ورد النداء في السّورة بناءً على الشخصيات المتحاورة، ونوع الحوار بين الطرفين ، والمستوى الاجتماعي لكل منهما ، فكان ثمانية نواتٍ مُخاطبة ، تجلّت فيها دلالة النداء الأصليّة ، لكنّها صحبت معها دلالات إضافية ، وسنعرض لها بإيجاز حسب ورود شخصيّة المنادي بالترتيب في القصة ، وبيان حُجّيّة بعضها مفصّلة كنماذج أدّت وظيفة الحجاج .

أولا - نداء يوسف - عليه السلام :

1- يَأبْتُ :

الملاحظ أنّ القصة ابتدأت به ، وانتهت به ، وفي كلا السّياقين يتشابه طرفا النداء ، بين الابن وأبيه ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ، الآية 4 ، و قوله : ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ الآية 100 ، فالنداء ان يكملان بعضهما الآخر ، فالأوّل مرتبط بالرؤيا أولا ، والثاني يشير إلى تأويلها ، ونداء الابن لأبيه بلفظ " يَأبْتُ " يحمل دلالة التلطف والتّوقير له ، وهذا أدب الأنبياء في خطابهم مع الوالدين ، زيادة على هذا ، فقد وُظّفت الأداة " يا " التي تكون للبعيد ، في موضع القريب ، للدلالة على علو مرتبة المنادي ، وتعظيم شأنه ، ووجوب احترامه .

2- رَبِّ :

⁷³ - د . مثنى كاظم صادق ، أسلوبيّة الحجاج التداولي والبلاغي ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2015 ،

ورد النداء بها مرتين ، مرة تتعلق بموقف تهديد يوسف - عليه السلام - بالسجن ، والأخرى تتعلق بموقف شكر الله تعالى على الملك والتّمين له ، والموقفان متغايران على الظاهر ، الأول قوله تعالى " ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ... ﴾ الآية 33 ، وهو موقف متعلّق بالضيق والبلاء ، والآخر في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ... ﴾ الآية 101 ، ويرتبط بالسّعة والنّعمة ، أمّا المعنى الباطني ففيهما متشابه ، فكلاهما ابتلاء واختبار ليوسف النبيّ ، ابتلاء بالضيق الذي يستوجب الثبات والصبر ، واختبار بالسلطة والسّعة الذي يستدعي الشكر ، فلمّا توحد المعنى توحد النداء .
وقد حذفت الأداة هاهنا ، لأنّ المنادي في موقف ضعف وحاجة ، وتضرّع ومعوّنة ، ففيه دلالة على تمام العبودية لله ، وقرب المولى من عبده ، فلا حاجة للأداة والواسطة بين المخلصين وربّهم .

3- فاطر السّموات والأرض :

ورد في الآية 101 ، تابعا للنداء الذي سبقه وامتدادا له في دلالاته الأصليّة والإضافيّة، ومتخلّيًا عن الأداة كذلك ، ومتجاوزا دلالة الدّعاء إلى معنى: الثّناء على الله تعالى ، وتمجيده وتعظيمه بعد ذكر النّعم ، وهي صفة تميّز أنبياء الله .

وفي اختتام القصّة بهذا التّركيب النّدائي لطيفة ما ملخصها : " النداء ب : (رب ... فاطر السّموات والأرض) خصوصيّة في ختام هذه القصّة ، تتمثّل في تأكيد الدّور المحوري والأساس للخالق - جلّ وعلا - في سير مجريات القصّة وغيرها ، غير أنّه يؤكّد في الوقت نفسه حاجة المنادي الدائمة (وهو يوسف هنا - عليه السلام -) إلى المنادى (خالقه والمنعم عليه) ، والمعين له في الشدّة والرّخاء .⁷⁴

3- ياصاحبيّ السجن :

ورد هذا النداء في آيتين متتاليتين ، تكمل إحداها الأخرى ، الآيتان 39 و41 ، أمّا الأولى فموضوعها دعوة السّجينين إلى التّوحيد ، وأمّا الثانيّة ففيها تأويل رؤيا صاحبيه في السجن . والملاحظ أنّ النداء في كلا الحالتين قد أدّى وظيفة أخرى ، تجاوزت طلب الإقبال ، إلى تهيئة المخاطب لما سيقال بعد النداء .

⁷⁴ - د . أنفال ناصر طالب محمد ، دلالات النداء في سورة يوسف المباركة ، مجلة آداب البصرة ، العراق ، العدد 70 ، 2014م ، ص132.131

ثانيا : نداء يعقوب - عليه السلام - :

- يابني :

في الآية 5 ، وورد بلفظ التّصغير، ويحمل معنى : الرّحمة والإشفاق والتّحبّب ، قصد النصّح والإرشاد .

- يابني :

وردت مرّتين ، في الآيتين 27 و 87 ، ويحمل دلالة إضافية مثل آية " يابني " ، متمثلة في العطف والإشفاق ، فضلا عن أنّها حُجّة لعدالة الأب يعقوب في محبّته لأبنائه دون تمييز ، ولذلك ساوى بين أبنائه جميعا ، في استخدام صيغة النّداء التي تشعرهم بالشفقة والتّلطف .

- ياأسفى :

في الآية 84 ، وهو نداء لم يُردّ به حقيقته، وإنّما خرج إلى غرض مجازي وهو شدة التّحسّر والتّوجّع ، فالقوة الإنجازية لهذا النّداء هي إظهار حجم الألم والمعاناة ، وهذا النوع من النّداء ، وإن كان تعبيريا في ظاهره ، إلا أنه يحمل بُعدا حجاجيا ضمّنيا يتعلّق بتأكيد شدة الفقد وأهمية المفقود.

ثالثا : نداء إخوة يوسف - عليه السلام -

1- ياأبانا :

وتكرّرت 6 مرّات ، في الآيات 11 و17 و63 و65 و81 و97 ، فقد حمل النّداء فيها معنى التّوقير للوالد ، والرّغبة في الحصول على رضاه وموافقته ، وإقناعه بما يعرضونه عليه .

2- ياأيها العزيز :

ورد هذا النّداء في الآيتين 78 و 88 ، ويحمل طابع الرّسمية ، لأنّه ممّا تفرضه آداب المحافل ولقيا الأكابر، وقد تحلّى النّداء هنا بالأداة الدالة على البُعد ، التي تُنزل المنادى منزلة البعيد لعلّ قدره ، ولمّا كانوا من العامّة ، فقد اتّسم طلبهم بالرّجاء والخضوع وجلب الشّفقة ، فالقوة الإنجازية لهذا النّداء هي الاستغاثة والطلب المُلحّ .

رابعا : نداء الوارد :

1- يابشرى :

وردت في الآية 19 من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، وهو من النوع المجازي ، فالمنادى هنا مصطنع كأنه حقيقي ، لأنّ الموقف هنا انفعالي ، يدلّ على الفرح والسرور بالهدية الغالية المتحصّل عليها ، فكأنّ الوارد يُنادي قائلاً : " أيتها البُشرى تعالي ، فهذا أوأنّ مجيئك ، وزمان حضورك ... " .

خامسا : نداء العزيز :

1- يوسف :

ورد النداء في هذا السياق في الآية 29 ، من الأعلى إلى الأدنى ، وقد تخلى عن الأداة ، لأنّ المنادى قريب مكاناً ومكانةً من العزيز ، فأفضاله على يوسف ، لا تُعدّ ولا تُحصى ، وفيه دلالة كذلك بأنّ الموقف موقف كتمان وخفاء ، لا موقف شيوع وإعلان ، فضلا عن أنّ المنادى يملك كفاءة لغوية ، ويدرك المطلوب منه ، فمُناداته بيوسف تقريب له وتلطيف .

سادسا : نداء الملك :

1- يأتها الملاً :

ورد في الآية رقم 43 ، والمنادى مجموعة من حكماء ووجهاء القصر ، وفي الإشارة إليهم بـ " الملاً " كناية عن علو شأنهم عند الملك ، ممّا يحتمّ عليهم معرفة تأويل الرؤيا ، وهو المعنى الإضافي الذي حملته النداء في هذا التباين الرتبي والاجتماعي .

سابعا : نداء رسول الملك :

1- يوسف أيها الصديق :

ورد في الآية رقم 46 ، بحذف الأداة ، وتأكد الأسلوب الندائي ببناء ثانٍ ، من خلال إثبات صفة الصّدق للمنادى ، فالدلالة المحمولة للنداء هنا : مدمجة ضمن المستوى الصّرفي للكلمة ، باستعمال صيغة المبالغة على وزن " فِعِيل " التي تفيد التكثر وشدة الاتّصاف بالشيء ، ولا عجب ، فالمتخاطبان من مستوى اجتماعي واحد ، يعرفان بعضهما ، والمنادي سبق وأن كان معه في السّجن وعرفه صادقا ، وأوّل له رؤياه وتحقّقت ، فالنداء هنا يحمل دلالة الملاطفة والعطف والثقة بالمنادى .

ثامنا : نداء المؤذن :

1- أيتها العير : ورد في الآية رقم 70 بحذف الأداة ، والمنادى أصحاب القافلة ، أو أصحاب الإبل المحملين بالمؤونة ، وحمل دلالة الاختصاص بتوجيه تهمة السرقة لهم .

ومما تجب الإشارة إليه أنّ حذف الأداة في بعض صور النداء التي استعرضنا بعضها ، مقصود ومتعمّد ، لأداء وظائف سياقية ومقامية وحجاجية تخدم بعض جزئيات السّورة ، " فالصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجذبك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبْنُ " ⁷⁵ ، ولا شكّ " فالحذف في أرقى منزلته المقامية يلطّف الجمل ، ويزيدها جمالا وبلاغة ، ويعزّز قدرتها الإنجازيّة والتأثيريّة ، رغبة في إيصال المعاني المراد تليغها للمتلقّي ، الذي يساهم هو الآخر في تقبّل هذه الرّسالة اللّغوية بحرارة وفاعلية ، ليحصل التواصل بين الطرفين ...، المؤسّس على الاستدلال ، والأعراف الاجتماعيّة والنّفسيّة " . ⁷⁶

ثانيا : السلام الحجاجية :

تُعَدّ نظرية السّلم الحجاجي (Théorie de l'échelle argumentative) ، التي طورها اللغوي الفرنسي أوزوالد ديكر، أداة تحليلية قيّمة لفهم كيفية ترتيب الحجج وتدرجها في الخطاب لتحقيق هدف إقناعي معين.

تفرض هذه النّظرية أنّ الحجج ليست متساوية في القوة، بل يمكن ترتيبها على "سّلم" بحيث تكون كلّ حُجّة أقوى من سابقتها وتوجّه المتلقّي بشكل أكبر نحو نتيجة معينة ، أو أن تكون هناك حجج ذات اتجاه واحد تعضّد بعضها البعض، فثمّة تلازم بين الحجج المتدرّجة ، وبين النتيجة التي تتمخّض عنها ، " لأنّ الحجّة في السّلم الحجاجي لا تكون حُجّة إلاّ إذا أفضت إلى نتيجة ، مع التّويه أنّ النتيجة قد يُصرّح بها في الخطاب أو تُستشفّ منه ضمّنيا " ⁷⁷.

وعند تطبيق هذه النظرية على أسلوب النداء في سورة يوسف، يمكننا ملاحظة كيف ساهمت النداءات المختلفة ذات السّياقات المتنوعة، في بناء حجج متدرّجة أو متظافرة تخدم الأغراض الكلية للآيات والسّورة ، ويمكن التّمثيل لهذه النّظرية بعينة من مشاهد القصة :

⁷⁵ - عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، دلائل الإعجاز ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2001م ، ص112

⁷⁶ - د . العربي بومسحة ، تداولية أسلوب النداء في التراث النّحوي العربي ، مجلة المعيار ، جامعة تيسمسيلت ، المجلد 10 ، العدد 1 ، مارس 2019 ، ص9

⁷⁷ - شكري المبخوت ، نظرية الحجج في اللغة ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم ، لفريق البحث والبلاغة والحجاج ، إشراف : حمّادي صمّود ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، سلسلة الآداب ، 1988 ، ص363.

1- السّلم الحجاجي التّصاعدي (نصيحة يعقوب ليوسف):

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الآية 5 .

التّحليل : النداء بـ"يَا بُنَيَّ" هنا يفتح سلّمًا حجاجيًا يهدف إلى إقناع يوسف بخطورة كشف رؤياه ، فالحجة الأولى هي التحذير المباشر، ثم تتعرّز بحجة أخرى وهي التأكيد على عداوة الشيطان للإنسان ، والتّحذير منه ، ("إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ") ، والنداء بـ"بُنَيَّ" يحمل شحنة عاطفية تجعل الحجة أكثر قبولًا، ويضعها في درجة أولى من سلم الإقناع الأبوي. والنتيجة هي تجنّب الأذى الناتج من التّصريح بالرؤيا. ويمكن التّمثيل له بالشّكل الآتي :

↑ - النتيجة: تجنّب حقد وكيد الإخوة

* (ح2) : إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

* (ح1) : يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ

2- السّلم الحجاجي التّنازلي (الخداع والكذب للكيد من يوسف)

يظهر في نداء إخوة يوسف لأبيهم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ الآية 9 ، حيث يبدأون بادّعاء النّصح والحرص له، وهو أقصى درجات الكذب الذي يتدرجون فيه إلى التّضليل، ومن ثمّ يتراجعون في موقفهم هذا كلما انكشفت الحقيقة ، ليتشكّل لنا المخطّط الآتي :

* (ح1) : إِدْعَاءُ النَّصْحِ وَالْحَرَصِ عَلَىٰ أُخْيهِمْ يَوْسُفَ

* (ح2) : الْحَقَارَةُ وَالْخُسَارَةُ فِي حَالِ تَأْذِيٍّ أُخْيهِمْ يَوْسُفَ

* (ح3) : الْبُكَاءُ وَمَحَاوَلَةُ خِدَاعِ الْأَبِ عِنْدَ الْعُودَةِ

↓ - النتيجة: ما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين

يُظهر تحليل أسلوب النداء في سورة يوسف من منظور نظرية السّلام الحجاجية أن القرآن الكريم لا يستخدم النّداء فقط كأداة لتنبية المخاطب، بل كآلية حجاجية متقدمة، تُبنى من خلالها الحُجج وتتدرّج لتخدم مقاصد المتحدّث، سواء كانت للإقناع بصدق الرّؤيا،

أو للتعبير عن التوبة والندم، أو للمراوغة والخداع، أو لبتئ الأمل والتّحذير، وهذا التوظيف البلاغي الدقيق يبرز عظمة الإعجاز القرآني في صياغة الخطاب المؤثر.

ثالثاً : حجج أخرى :

كما يمكن أن نذكر بعض الآليات التخاطبية التي تجاوزت الدور الجمالي الإمتاعي ، إلى حمل وظيفة تواصلية وحجاجية ذات طابع استدلالي ، ومن أمثلتها في السورة :

1- الاستعارة الحجاجية: ويُقصد بها ذلك التوظيف المجازي الموجه للكلمة ، والذي يهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري ، أو العاطفي للمتلقي ، ذلك أنّ الاستعمال الاستعاري للفظه ، أقوى من استخدامها على وجهها الحقيقي ، وتستدعي تفاعلاً بين المتحاورين ، " لأنّ الاستعارة لا يُنظر إليها اليوم مادةً للتزيين والزخرفة ، وإنما يُنظر إليها أداةً أو آليّةً من آليات الإقناع ضمن الوجهة الحجاجية للخطاب " ⁷⁸ ، انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف - الآية 4 ، حيث شبّه الكواكب بقوم عقلاء ساجدين ، والسجود قرينة لفظية ، قال ابن عباس - رضي الله عنه - " رؤيا الأنبياء وحي ، والأحد عشر كوكبا هم إخوته الأحد عشر ، والشّمس والقمر أبوه وأمّه ، لأنّ الكواكب لاتسجد في الحقيقة ، إنّما السجود هاهنا للتّحية ، وبمنزلة المصافحة ، وانتقل إلى التّحية والتّقدير .

2- الكناية الحجاجية :

ومن مواضعها الآية رقم 9، ونصّها قوله تعالى : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ ، ففي الآية كناية تلويحية عن المحبة الخالصة ، فقتل أخيه يوسف والتخلّص منه، يعدّ مقدمة لنتيجة واحدة ، وهي خلوّ وجه أبيهم ، فيقبل عليهم .

* اقتلوا يوسف ← * يخل لكم وجه أبيكم
(مقدمة) = حجة (نتيجة)

⁷⁸ - د . مثنى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2015 ،

3- التوكيد :

يُؤتى بالتوكيد لتثبيت خبر في ذهن المخاطب ، وإزالة الشك والتردد لديه أمام ما ينكره ويجحده .

و نلاحظ في السورة استخدام أكثر من أداة مُؤكِّدة ، فرضتها السياقات الخطابية والتَّحاورية المتعدِّدة ، مثل : إنَّ ، لام الابتداء ، قد المحقِّقة ، ألفاظ القسم

وفي العموم شكّل التوكيد ركنا أساسيا في بناء الحجاج أثناء الحوار القصصي للسورة ، فأوضح كثيرا من طبائع الشَّخصيات وميولاتها وانفعالاتها ، وأظهر طاقتها الحجاجية ، عن طريق الحوار الموصل إلى الإقناع بصدق الحقائق الواردة في السورة ، وكعيّنة على ذلك ، انظر إلى المؤكِّدات المستخدمة في الآيات التي تحكي مشهد وضع الصّواع في رحل أخ يوسف - بنيامين - ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَدْنَىٰ مَوْدِنًا أَيْتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾⁷⁹ ، فلما سمع الإخوة بذلك ، قالوا : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِنُنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾⁸⁰ ، جاء قولهم مؤكدا بالقسم (تالله) و(لقد) على الرّغم من ثقتهم ببراءتهم من هذه التّهمة ، والاتّهام جاء بمؤكِّدين كذلك (إنكم لسارقون) ، فكان لا بدّ من الرّدّ عليه برّدٍ محلّي بالتوكيد ، فهم في موقف سرقة ، سرقة الملك الكريم معهم ! ، وهذا محال لأنهم : ضيوف ألزمتهم الحاجة لنجدة أهلهم من الجوع المحتمّ ، وفي الوقت نفسه هم أولاد نبيّ ، وهم متيقّنون من براءتهم ، فجاء القسم كذلك بحرف قليل الشّيع والاسْتعمال ، وهو (تا) ، للتعبير عن استغرابهم للموقف .

4- التكرار :

تكفي نظرة خاطفة سريعة على فصول القصة ، ليتكشف لنا الحضور القوي للتكرار بتعدّد صورته وأدواته ، فقد أدّى جملة من الأدوار والوظائف على غرار : لفت الانتباه لتوكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي ، فضلا عن الوظيفة الحجاجية والإقناعية والجمالية لهذا الأسلوب .

تنقل لنا الآيتان (97 و98) / يوسف ، جزءا من وظائف التكرار ، حيث يقول الله تعالى : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ، حيث نلاحظ تكرار لفظ الاستغفار تكرارا مباشرا وجزئيا في كلمة " الغفور " ، وذلك

79 - يوسف - الآية 70

80 - يوسف - الآية 73

دلالة على طلب إخوة يوسف من أبيهم المغفرة لهم من ربهم ، "بحيث أنّ جملة (إنه غفور رحيم) تعليل لجملة (أستغفر لكم ربي) ، وأكّد بضمير الفصل لتقوية الخبر " 81 .

5- التّفريع :

ويُعرف بمصطلحات أخرى كالإجمال والتّفصيل والتّقسيم والجمع والتّفريق ، وهو : " أن يقوم المرسل بطرح قضية ما ، ثمّ يشرع بتفريعها إلى أجزاء ، على أن تكون هذه الأجزاء حُججا لها ، لتكون داعمةً لقضيّته ، ودليلاً عليها ... ، لأنّ هذه التّجزئة تحمل في طيّاتها دلائل الإثبات " 82 ، كما أنّها إجابة عن أسئلة تُثار في ذهن المتلقي قصد قبوله وتسليمه بالقضية المطروحة ، وأمثله كثيرة في قصتنا ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزِنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ 83

فقد تفرّع الخطاب الحجاجي من كلا الطرفين ، فمن إخوة يوسف لتنفيذ مخططهم ، ومن نبي الله يعقوب - عليه السلام - بعدم رغبته في ذهاب يوسف معهم ، ولما شعروا بالرّفص الضّمني منه ، بدأوا يقسمون رغبتهم ، ويحاولون إقناع أبيهم ، وهو ماتمّ لهم ، وفي المخطط الآتي تفصيل وافٍ :

- * إقناع الأب بخروج يوسف معهم
- * إنا له لناصحون - ح 1
- * وإنا له لحافظون - ح 2
- * ونحن عصابة - ح 3

* وفي المقابل كان أبوهم يحاول العدول عن أمر خروج يوسف معهم ، وبدأ بتقسيم عدم رغبته ، وتفرّع مسوّغاتها بما ساوره من هواجس ، ليشكل المخطط الآتي :

- * عدم رغبته في إرسال يوسف معهم
- * إني ليحزنني أن تذهبوا به - ح 1
- * وأخاف أن يأكله الذيب - ح 2
- * وأنتم عنه غافلون - ح 3

81 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 54

82 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 13 ، ص 203

83 - يوسف 11 - 14

- والنتيجة كانت أن ذهب أخوهم يوسف معهم ، مع رغبة خفية من أبيهم يعقوب - النبي - بعدم الذهاب بحكم عاطفته الأبوية ، وتحذيرا لأبنائه من التّقصير معه .

6- الروابط الحجاجية :

ساهمت الروابط الحجاجية في السّورة على تعددها في توجيه سيرورة الحجاج، من خلال وصل المقدّمة بالاستنتاج، وما أحدثته من أثر تواصلية إقناعي بين النتيجة (الأطروحة) والحجّة، ويمكن أن نمثل لذلك بعينة مختارة من فصول القصة :

الأطروحة	الرابط	الحجّة
قال تعالى : " قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ "	الفاء	" فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "
" قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا "	الفاء	" فَأَكَلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ "
" لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْأَلِينَ "	إذ	" إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "
" ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ "	إذ	" إِذْ اجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ "

خاتمة

خاتمة:

ترشّح لنا عن البحث -وبتوفيقه تعالى- جملة من النتائج ، التي تمثل أهمّ الظواهر الحجاجية لأسلوب النداء في سورة يوسف .

- 1- النداء ظاهرة غريزية ، ووسيلة للاتصال لدى كلّ من الإنسان والحيوان ، ولكنها تظهر بصورتها الراقية لدى البشر بوصفها أداة للتعبير عن المشاعر والأفكار، والتواصل بينهم ، فهو أرقى طريقة للتعبير عن الأغراض ، بصيغه الصريحة والمحدوفة ، وصوره وأشكاله المتعدّدة ، حين تقصر الوسائل الأخرى كالإشارة ، والإيماءة ، والغمزة ، والبسمة .
- 2- حظي أسلوب النداء بحظٍّ وافرم من التنظير، والتّمثيل، والمعالجة لدى النّحويين والبلاغيين العرب، حيث إنّنا لا نجد كتاباً ذا أهميّة في النّحو والبلاغة وعلوم اللّسان إلّا وكان للنداء فيه حضور لافت، فعقدوا له باباً خاصاً، وضّحوا فيه صورته وأسلوبه، وأنواعه، وأدواته.
- 3- إذا كان النّحويون قد اعتنوا بالتركيب النّدائي ، وأولوه عناية فائقة في مدوّناتهم ، خدمة للغة العربية ، وخوفاً من شيوع اللّحن في القرآن الكريم في عموم جهودهم، فإنّ إخوانهم البلاغيين الذين جاءوا بعدهم ، قد استأنسوا بأعمالهم ممّن سبقهم في دراسة أهمّ ظواهر اللغة ومرتكزاتها ، فانكبوا بنهم ، يستكشفون أغوار النّص القرآني ، ويعرضون دُرره الآسرة ، فاتّحد العلمان ، وصار البلاغيون ينطلقون ممّا انتهى إليه النحويون ، وأرسوا أسسه ، ومضوا يؤلّفون ويصنّفون ، ويتعرّضون لظواهر اللغة وتراكيبها من جهة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وما تدلّ عليه القرائن من معانٍ تُفهم من السّياق .
- 4- الحجاج مصطلح عائم ، تلوّن بمنطلقات ومعتقدات الفلاسفة والمفكرين قديماً وحديثاً ، وهو فعالية تواصلية ، يجري على أرضية تداولية وتفاعلية وخلافية ، قائمة على التأثير ، وأنّ هذه المقاربة التّواصلية تهدف إلى استمالة المتلقي .
- 5- ترى البلاغة الجديدة المُرادفة للحجاج أنّ علوم المعاني والبيان والبديع ترتبط بقضية ، يحاول فيها المرسل التأثير في المتلقي ، واستمالاته من أجل تغيير موقفه أو الإيمان به، فالغاية من هذه العلوم وسيلة وهدف ، فهي تسهم في الإمتاع ، وفي الوقت نفسه تُعدّ حاملاتٍ للحجاج .

- 6- جاءت البلاغة العربية في مجملها لأجل الإفهام والتواصل والإقناع والإمتاع - الجمالية - ، وعاشت عصور ازدهارها في ارتباطها بالحجاج ، حيث توافر لديها جوانب تداولية هامة ، ارتبطت بالحجاج ، وسبق معرفي إلى بعض الإشارات والمفاهيم ، التي تُعدّ اليوم جوهر التداولية .
- 7- إنَّ سيرورة التدرّج في السّلم الحجاجي يتّجه نحو الارتفاع والصّعود ، ويأتي من أجل التّسليم بالنتيجة من خلال الانسجام في هذه الحجج عبر مساراتها التّصاعدية وصولاً إلى النّتيجة .
- 8- يحرص الخطاب المكيّ على حضور الأفعال الكلاميّة المباشرة في مخاطباته ، ولاسيما أنّ هذه الأفعال ممّا يتضمّن في سياقها توجّهات وتكاليف ، وانتباهات ، ويعود إلى غايته التبليغية التي لا تتمّ إلّا بالحجاج ، فلأفعال الكلام في النصّ المكيّ إنجازات تعطي بعداً دلالياً ، يحمل المتلقين على التّأثير والإقناع بما يُطرح عليهم من قضايا وأطروحات .
- 9- القصّة القرآنيّة آية من آليات الإقناع والتّأثير ، فالدليل متجسّد في جزئياتها ووقائعها ، ولذلك عُدت إحدى أساليب الحجاج الموجهة لعموم النّاس ، شأنها في ذلك شأن أساليب الإعجاز والمناظرة .
- 10- من أغراض القصص القرآني إثبات الوحي والرّسالة للرّسول - محمّد - صلى الله عليه وسلّم - ، فمع كونه أمّياً إلّا أنّه قد أخبر النّاس بحقائق وأخبار غيبية ، ومعارف تاريخية صادقة ، تتعلّق بالأمم السابقة ، كالحط والموازن والاسترقاق وسجن السّارق... وغيرها ، وجاء تفصيل ذلك في سورة يوسف - عليه السلام - التي تلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - على النّاس قبل اختلاطه بقبائل اليهود في المدينة ، وهذا دليل قاطع على صدق مايقوله ، وأنّه وحي يوحى ، وهنا يتجسّد الحجاج الإقناعي .
- 11- من الآليات الحجاجية البلاغيّة واللّغوية التي وُظّفت في قصّة سيّدنا يوسف - عليه السلام - نجد الاستعارة ، والكناية ، والتفريع ، والتكرار ، والتوكيد ، والحذف ، وهي آليات تجاوزت الوظيفة الجمالية الإمتاعية إلى وظائف إقناعية تأثيرية في المخاطب .

- 12- تجاوز أسلوب النداء في السورة وظيفة الاستدعاء ولفت الانتباه، إلى وظيفة الحجاج ، على تعدد صورته ، وتنوع أدواته ، واختلاف دلالاته ، والمخاطبين والمتحاورين فيها ، فضلاً عن عدة مقاصد ومرامٍ مثل : التوجيه والتأثير ، والإقناع ، والتشريع ، والتعليم ، والإفهام ، والإخبار ، مما يصبّ إجمالاً في المقصد العام للسورة .
- 13- تأكد لدينا بالإثبات - بين ثنايا البحث - بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الخطاب القرآني يستجيب لتطبيق تقنيات الحجاج والأبعاد التي تقوم عليها التداولية ، ولا عجب فالقرآن كلام الله ، وهو موجّه إلى المتلقين عامةً - متلقٍ كونيٍّ - ، على تعدد ملهم ونحلهم ، ولا يحدّهم مكان ولا زمان ، جاء لنجدة الناس ، بالتأثير فيهم قصد إقناعهم ، وإنقاذهم من الضلال الذي يستوجب غضب الله وعقابه - عزّ وجلّ - ، بخطاب تداولي يناسب الفطرة ، ويحاور العقول الحيّة بالحسنى ، لا بالإكراه ، حتى يتم التّواصل والتفاعل بين الفرد والآخر من جهة ، والإنسان مع خالقه من جهة أخرى ، فالقرآن يريد قلوباً لا قوالب .
- 14- تبيّن لنا جلياً في الأسس التي أقيمت عليها نظريات : البلاغة الجديدة لبييرلمان وتيتكا ، والنظرية اللغوية لديكرو ، روح القرآن وتعاليمه ، ومنهجه المعتمد في مخاطبة الناس ، وحجاجهم ، والغاية من محاوراة الآخرين ، فالإقناع واستمالة العقول ، وتوجيه سلوك المخاطبين نحو الأنفع وبكل حرية ، سبّل لإقبالهم على الأطروحات التي تُعرض عليهم ، وإذعان النفوس لها ، كلّ هذا يُرجّح لدينا - والله أعلم - فرضيّة إطلاع هؤلاء الأقطاب على القرآن ، إطلاع عارفٍ ، عالمٍ بشرائع الأمم الغابرة ، وتأثرهم بمنهجه في الحجاج ، والغاية من مخاطبتهم ، ولذلك ظهرت هذه التقاطعات في أعمالهم بشكل يؤكّد هذا الافتراض ، وأمثلة تأثر العلماء والمفكرين الغربيين بالقرآن ، تمتلئ بها الكتب وتنتطق ، وتشهد بها صفحات التاريخ ، لا يُنكرها إلا جاحد حقود .
- ختاماً : إنّنا نضع هذا العمل بين يدي كلّ من خاض أو تخصص في مجال التداولية ، أو نظريات الحجاج الحديثة ، ليُقوم ما كان فيه من قصور أو اعوجاج ، أو يضيف إليه المستجدّ ، فيكتمل ويحصل به النفع ، خدمةً لكتاب الله ، واللغة العربيّة ، ويكون عملنا

مرجعا علميا يثري المكتبة ، ومعلم طريق تستأنس بها الدراسات المستقبلية لاحقا ، فإن
أحسنًا فذلك توفيق من العليم الحكيم ، وإن كان ما لا نرجو فحسبنا من ذلك أننا اجتهدنا .
ومن باب الاعتراف بأولي الفضل والجميل، نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لمن رعى
ورافق هذا العمل حتى ظهر وأثمر، ونخص بالذكر مرافقنا في هذه الرحلة العلمية المشوقة
الأستاذ : محمد زهار - حفظه الله ، ونفع به - .

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

الصفحة	المحتوى
	الواجهة
	البسمة
	شكر وعران
	إهداء
أ - ج	مقدمة
الفصل الأول : النداء في التراث	
09	المبحث الأول : النداء النحوي
09	تعريف النداء
09	لغة واصطلاحا
10	أدواته
11	أنواع المنادى
12	الوظائف النحوية للنداء
15	المبحث الثاني : النداء عند البلاغيين
15	تعريفه
16	أدواته
16	أغراضه
19	المبحث الثالث : أنواع النداء في القرآن الكريم
الفصل الثاني : سمات الخطاب الحجاجي في سورة يوسف	
24	المبحث الأول : التعريف بالسورة ، وأسباب النزول
24	التعريف بالسورة
25	موضوعها
25	سبب نزولها

27	المبحث الثاني : التعريف بالحجاج في الدرس التداولي
27	تعريف الحجاج لغة
28	أولا - الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديما
28	1-1 - الحجاج في الفكر اليوناني
29	1-2 - الحجاج عند العرب
29	- عند الجاحظ
30	- عند أبي يعقوب السكاكي
31	ثانيا : الحجاج في الفكر الغربي والعربي حديثا
31	1- الحجاج في الفكر الغربي الحديث
31	1-1 - نظرية الحجاج عند بيرلمان وتتيكا
33	1-2- نظرية أفعال الكلام عند أوستن
34	1-3- نظرية الحجاج في اللغة عند ديكر
35	2- الحجاج في الفكر العربي الحديث
35	2-1- عند طه عبد الرحمن
36	2-2- عند محمد العمري
36	2-3- عند أبي بكر العزاوي
36	2-4- عند عبد الله صولة
38	المبحث الثالث : الحجاج والبعد التواصلي
38	تجلياته :
40	المبحث الرابع : نماذج الحجاج في السورة
40	أولا : أفعال الكلام
41	1- الأمر والنهي
42	2- الاستفهام
43	3- النداء
48	ثانيا : السلاالم الحجاجية

49	ثالثا : حجج بلاغية و لغوية
49	1- الاستعارة الحجاجية
49	2- الكناية الحجاجية
50	3- التوكيد
50	4- التكرار
51	5- التفرع
52	6- الروابط الحجاجية : الفاء ، إذ
54	خاتمة
59	فهرس المحتويات
63	قائمة المراجع والمصادر
	الملخص

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

- المصحف برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الفكر ، ط 12 ، بيروت 1978.
2. احمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، 1968، دار النهضة ، بيروت .
3. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر: عبد القادر قينيني ، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991 .
4. أبوبكر العزّوي ، اللّغة والحجاج ، مؤسسة الرّحاب الحديثة للتوزيع والنّشر ، بيروت ، لبنان ، رط 1 ، 2010 م .
5. أبوحيتان الأندلسي ، محمد يوسف بن علي (ت745هـ) ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، شرح ودراسة د. رجب عثمان ، 1998 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 4 .
6. سيبويه ، بشر عمر بن عثمان بن قنبر(ت180هـ) ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد بن هارون ، ط 3 ، 1988، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 2 .
7. السيوطي ، أسباب النزول المسمّى لباب النّقول في أسباب النّزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002 م .
8. طاهر بن عاشور ، التّحرير والتّوير ، الدّار التّونسيّة للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس ، 1984 ، ج 12 .
9. طه عبد الرحمن ، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي ، الملرّكز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1998 م .
10. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المرّكز العربي الدار البيضاء ، بيروت ، ط 2 ، 2000 م .
11. عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، ط 8 ، مصر ، ج 4 .
12. عبد الرحمن بن ناصر السّعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّثّان، دار التقوى ، القاهرة ، 2015 م ، ط 1،

13. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، ج 1
14. عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، دلائل الإعجاز ، تح : عبد الحميد هندأوي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 ، 2001 م .
15. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، 34
16. عبد الواحد وافي ، دراسات في علم المعاني ، مكتبة الإشعاع الفنيّة (د.ت) .
17. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، 1961 ، نشر محمد عبد الحميد ، القاهرة ، ج 3 .
18. الفخر الرازي فخر الدين، مختار الصحاح ، ضبط وشرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا 1995- دار الهدى، الجزائر .
19. مثنى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2015 .
20. ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، مجلد 2 ، مجلد 9 و 12 ، 1997 .
21. هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب : اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، لفريق البحث والبلاغة والحجاج ، إشراف : حمّادي صمّود ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، سلسلة الآداب ، 1988 ، ص 142.
22. أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د.ط ، د.ت .
23. ابن يعيش ، شرح المفصل ، دار الكتب ، بيروت ، ج 5 ، 2001 .
- a. المجلات والدوريات :
24. أنفال ناصر طالب محمد ، دلالات النداء في سورة يوسف المباركة ، مجلة آداب البصرة ، العراق ، العدد 70 ، 2014م .
25. العربي بومسحة ، تداولية أسلوب النداء في التراث النحوي العربي ، مجلة المعيار ، جامعة تيسمسيلت ، المجلد 10 ، العدد 1 ، مارس 2019

26. فاطمة الزهراء المالحى ، حجاجية الخطاب القرآني - سورة يوسف أنموذجا - ،
مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد 14
2018،
27. مبارك تريكي: النداء بين النحويين والبلاغيين ، مجلة حوليات التراث ، جامعة
مستغانم ، العدد 7 ، 2007 .
a. الرسائل والأطروحات :
28. مبارك تريكي ، النداء في القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراة ، جامعة الجزائر ، كلية
اللغة والأدب العربي ، 2007
29. دحمان حياة، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الحاج
لخضر، باتنة، كلية اللغة والأدب العربي، 2013

الملخص:

تستهدف هذه الدراسة الكشف عن الوظيفة الحجاجية لأسلوب النداء في سورة يوسف من منظور تداولي، وبيان تجلياتها اللغوية والبلاغية في القصة.

ومن هذا المنطلق، تطرح الدراسة الإشكالية التالية: كيف أسهم أسلوب النداء في سورة يوسف في بناء خطاب حجاجي تداولي، يزوج بين التأثير العاطفي والعقلي؟

تم الاعتماد على المنهج الوصفي الإحصائي، وبعض الإجراءات التداولية وآلياتها، وتطبيقها على نداءات السورة، لذا تهيكّل البحث من فصلين: نظري وتطبيقي، وصفنا في أوّل النداء النحوي والبلاغي، وأنواعه في القرآن الكريم، أما في التطبيقي، فعرضنا نداءات القصة على بعض النظريات التداولية مثل أفعال الكلام، والسّلام الحجاجية تحليلاً واستنتاجاً، إثباتاً لحجاجيتها .

ومن أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة هي: أنّ النداء في قصة يوسف - عليه السلام - كآلية لغوية، وفعل كلامي، حمل قدرة إنجازية لها طاقة حجاجية، ذات أبعاد تواصلية، وتأثيرية، وإقناعية.

الكلمات المفتاحية: النداء، سورة يوسف، الحجاج، التّواصل، الإقناع.

Abstract:

This study aims to reveal the argumentative function of the vocative style in Surat Yusuf from a pragmatic perspective, and to show its linguistic and rhetorical manifestations within the story.

From this standpoint, the study poses the following problem: How did the vocative style in Surat Yusuf contribute to building a pragmatic argumentative discourse that combines emotional and intellectual influence?

The descriptive statistical method was adopted, along with some pragmatic procedures and mechanisms, and applied to the vocative expressions in the surah. Therefore, the research is structured into two chapters: a theoretical one and an applied one. In the first, we described the grammatical and rhetorical vocative style and its types in the Holy Quran. In the applied chapter, we presented the vocative expressions of the story for analysis and conclusion based on some pragmatic theories, such as speech acts and argumentative scales, to prove their argumentative nature.

Among the most prominent findings of the study are: The vocative expression in the story of Yusuf (peace be upon him) as a linguistic mechanism and a speech act, carried a performative capacity with an argumentative force, possessing communicative, influential, and persuasive dimensions.

Keywords: Vocative, Surat Yusuf, Argumentation, Communication, Persuasion